جامعة جنوب الوادى

كلية الآداب

قسم الفلسفة

دراسات فى

المنطق ومناهج البحث

الأستاذ الدكتور

سعيد على عبيد

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

بسم الله الرحمن الرحيم

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

صدق الله العظيم

سورة الأحقاف آية: 16

إهـداء

إلى

نبع النور الذي أشرق فى سويداء القلب

الذات والمعجزة والأسطورة

زوجتى د. آمال السعدي

سعيد على عبيد

المقدمة

يعد مفهوم الصدق Truth من المفاهيم المهمة فى الفكر الفلسفى، حيث ارتبط الصدق دائما بالاتجاه المنطقى فى نظرية المعرفة وفلسفة العلم، ثم تطور بعد ذلك ليدخل في إطار فلسفة اللغة(*)، كما جاء المصطلح فى الفكر الفلسفى والميتافيزيقى تحت مفهوم الحقيقة.

كان لمفهوم الصدق عدة نظريات أهمها: التطابق والاتساق والبراجماتية والسيمانطيقية ونظرية إمكانية التحقق عند الوضعية المنطقية المعاصرة، وكذلك نظرية الإضافة غير الضرورية، وقد استوعبت هذه النظريات أهم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، فتوجهت كل نظرية نحو اتجاه محدد، فالتطابق للمذهب التجريبى، وكذلك البراجماتية والسيمانطيقية(**)، ونظرية الاتساق للمذهب المثالى، أما نظرية الإضافة غير

(*) فلسفة اللغة هى مجموعة مترابطة من الدراسات يعكف عليها المناطقة والفلاسفة، تنشأ عما يقلقهم من أسئلة ومشكلات تتعلق باللغة، كما أن علماء اللغويات حين تطورت علومهم ذهبوا إلى الخوض فيها وبحث مسائل منطقية أو فلسفية تنشأ عن أبحاثهم اللغوية.

انظر – د/ محمود فهمى زيدان: فى فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2003م، ص5.

(**) هو أحد فروع علم اللغة، ويبحث فى دلالة الألفاظ، وتطور هذه الدلالة، ووضع أسس هذا العلم بريالBreag فى أخريات القرن الماضى.

انظر – د/ محمد فتحى عبدالله: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الإسكندرية،2009، ص117.

الضرورية فاتجهت نحو الاتجاه المنطقى المعاصر، فى حين اتجهت نظرية امكانية التحقق من المعنى إلى الوضعية المنطقية التى تقف بين فلسفة العلم وفلسفة اللغة.

أما بالنسبة لموضوع هذا الكتاب فهو الصدق فى الفلسفة الواقعية النقدية عند الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا، حيث نعتت نظريته فى الصدق باسم النظرية الواقعية، وخرج سانتيانا بنظريته فى الصدق من إطارها المألوف وهو المنطق ونظرية المعرفة، لكى يصوغها فى إطارها الجديد وهو إطار الوجود أو الأنطولوجيا، وبذلك تعد نظرية سانتيانا فى الصدق من أهم النظريات التى شكلت القضايا المنطقية بمزيد من الواقعية والخبرة، وبالتالى فهى نظرية جديدة وفريدة فى نوعها الأنطولوجى، وذلك لأن المنطق ليس علما للوجود، وإنما علم للتحقيق والبرهان [1]. كما جمع فيها سانتيانا بين أسلوبين هما: عمق المثالية، وواقعية الفكر الأمريكى المعاصر، وعليها جاء هذا الفصل تحت مسمى " النظرية الواقعية فى الصدق".

ولقد كانت هناك عدة إشكاليات تدور فى ذهن المؤلف، وكانت سببًا فى أن يكون هذا الكتاب بهذه الكيفية التى أقدمها للقارىء، وهى:

1. ما جذور فلسفة سانتيانا الواقعية بوجه عام، وما هى جذور واقعية سانتيانا فى نظرية الصدق؟

(1) بول موى: المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة د/ فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2009م، ص38.

2. ما هو مضمون الصدق فى فلسفة سانتيانا؟ وما الكيفية التى أرسى عليها سانتيانا مفهوم الصدق؟ وإلى أى حد اتجه سانتيانا إلى نقد النظريات الذاتية فى الصدق؟
3. كيف خرج سانتيانا بنظريته فى الصدق من إطار نظريته المعرفية ليصوغها فى إطار جديد ألا وهو الوجود أو الأنطولوجيا؟ وهل يعنى ذلك أن كل ما فى ذهن الإنسان من أفكار يقابله وجود حقيقى فى العالم الخارجى؟
4. إلى أى حد أثبت سانتيانا بأن للصدق أنواعًا ونظريات متعددة داخل الإتجاه الواقعى؟ وما هى أنواع الصدق التى أشار إليها سانتيانا؟
5. ما هو مفهوم الماهية فى فلسفة سانتيانا؟ وإلى أى حد خرج بالماهية من خلال عالم المثل الأفلاطونية؟ وما هى صفات الماهية؟

وعلى غرار هذه الإشكاليات جاء الكتاب فى سبعة فصول هى:

الفصل الأول: واقعية سانتيانا الطبيعية.

ويتكون من:

- حياة سانتيانا.
- جذور فلسفة سانتيانا.
- واقعية سانتيانا الطبيعية.

الفصل الثاني: نظريات الصدق بين الفلسفة والمنطق.

ويتكون من:

1. التباين بين الصدق والحقيقة.
2. نظرية التطابق.
3. نظرية الاتساق.
4. النظرية الدلالية.
5. النظرية البراجماتية.
6. نظرية إمكانية التحقق.
7. نظرية الإضافة غير الضرورية.

الفصل الثالث: سانتيانا والنظرية الواقعية فى الصدق.

الفصل الرابع: الصدق المنطقى.

الفصل الخامس: الصدق السيكولوجى.

الفصل السادس: الصدق والزمن.

الفصل السابع: نظرية سانتيانا فى الماهيات.

- الخاتمة.

الفصل الأول

واقعية سانتيانا الطبيعية

الفصل الأول

واقعية سانتيانا الطبيعية

حيـاة سانتيانـا

ولد الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا "George Santayana" فى مدريد صباح يوم السادس عشر من ديسمبر لعام 1863[1]، وقد تم تعميده بعد ميلاده بستة عشر يومًا فى الكنيسة الكاثوليكية "سان ماركوس "San Marcos[2]. حيث ولد وحيداً لوالده "أوغسطين سانتيانا" Augustin Santayana لكنه كان أخاً لأخوة ثلاثة من أمـه ، وهـى أسـبانية كانـت قـد تزوجـت زوجهـا الأول الأمريكـي "جـورج ستورجيس "George Sturgis وأنجبت منه هؤلاء الأطفال الثلاثة، كما وعدته قبل موته أن تنشأ أطفاله الثلاثة فى وطنه أمريكا، وأرادت أن تفي بوعدها، فأخذتهم ومعهم وليدها الجديد من زوجها الثانى الأسباني[3].

---

(1) George Santayana: persons and places, the Background of my life, Charles Scribner's Sons, New York, 1944, P.1.

وانظر أيضا – عبد الرحمن بدوى : موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1984 ، ص581.

(2) Richard Butler: the Mind of Santayana, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, P11.

(3) زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية ، دار الشروق ، بيروت، 1979، ص152.

سافر سانتيانا مع أمه فى التاسعة من عمره إلى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاشت أمه على هامش "الأرستقراطية" التجارية الأمريكية التى كان زوجها الأول ينتمى إليها.

ولكن على الرغم من هذه الفترة الطويلة من العمر التى قضاها سانتيانا فى الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لم يتخلى طوال هذه المدة عن جنسيته الأسبانية، لأنه كان يشعر فى قرارة نفسه بأنه أسبانى الأصل، وقد استمر فى الشعور بأسبانيته تلك المدينة الفاضلة، والتى أصبحت له نقطة الانطلاق التى منها رأى العالم[1]. ولكن على الرغم من اعترافه بأسبانيته فى مذكراته إلا أنه بعد أن عاش فترة طويلة فى الولايات المتحدة الأمريكية، جعلته يشعر بأنه أجنبى عندما عاد إلى أسبانيا مرة أخرى[2].

وهنا يصف سانتيانا هذه التحولات والتنقلات التى حدثت فى حياته، فيقول "أن الحالة العامة للعائلة كانت حالة غير عادية، فلم نكن مهاجرين من قبل، كما لم يغير أحد منا وطنه أو وظيفته أو دينه، ولكن الظروف الخاصة هى التى أعطتنا هذه الخصائص الموروثة لهذا الانفصال فى أماكن مختلفة من الناحية الأخلاقية والجغرافية"[3].

---

(1) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, an Examination of his philosophy, Routledge- Kegan Paul, London and Boston, 1974, p.21.

(2) Ibid: p.21.

(3) George Santayana: General confession, in: the philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951, p.3.

وعندما كان الناشئ الأسباني الصغير قد تأثر بأبيه فى أسبانيا تأثراً قوياً، وذلك قبل أن يعبر المحيط مع أمه إلى أمريكا، حيث كان الطفل الصغير ينتمى إلى طريقة والده فى التفكير، فكان الوالد يصطحب ابنه الصغير – جورج سانتيانا – فى معظم تنزهاته، وهما يسيران معا على الأقدام لمسافات طويلة حتى كاد الطفل الصغير أن يتشرب وينغمس فى كافة تصرفات وسلوكيات والده العجوز، فأخذ الطفل عن والده اعجابه بكفاءة العبقرية الإنجليزية، وكذلك عدم الثقة بالتصورات والأوهام، فبث فيه الأب كراهيةً نحو التفكير التأملي الشاطح، وحبًا للتفكير القائم على الوقائع المباشرة، كما بث فيه – فى نفس الوقت الإعجاب بشعر "لوكريتوس" Lucretius، وكذلك رفض الدين باعتباره يثير فى النفس مشاعر الخوف والتعجب من المجهول وإكراه الناس عن طريق الخداع[1]. حتى أنهى الأب كلامه مع ابنه بقوله " يابنى إننى لا أعرف ماذا أريد، ولكننى أعرف جيدا مالا أريد"[2].

وعندما ذهب سانتيانا إلى أمريكا لم يكن يعرف كلمة واحدة باللغة الإنجليزية، حيث كانت اللغة الأسبانية هى اللغة الرسمية لعائلته، على الرغم من أن أخواته الكبار من أمه قد استمروا فى التحدث باللغة الإنجليزية طوال الوقت[3]. وفى وقت قصير تعلم سانتيانا التحدث باللغة الإنجليزية على يد أخته "سوزانا"Susana ، حتى أصبح سانتيانا متفننًا بهذه اللغة، وساعده فى ذلك أيضا أنه كان لديه آذان قوية وممتازة نحو

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 13.
(2) G. Santayana: persons and places, op. cit, P. 16.
(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.22.

الإصغاء والاستماع[1]. فتراه يقول مؤكدا ذلك " لقد التقطت اللغة الإنجليزية عن طريق الاستماع قبل أن أعرف كيف تكتب هذه اللغة، ولذلك فأنا أدين لهذه الظروف فى كونى أتحدث الإنجليزية بدون أى لهجة أجنبية أخرى سواء فى المدرسة الإبتدائية أو مدرسة بوسطن اللاتينية أو كلية هارفارد بعد ذلك[2].

وعندما بلغ سانتيانا العشرين من العمر، لم ير أبيه مرة أخرى حتى زار أسبانيا عام 1883، ولكنهم كانوا يتراسلون فيما بينهم عن طريق الخطابات التى كانت تمثل بينهم حلقة الوصل، وقد كتبت هذه الخطابات باللغة الأسبانية. وتوجد مجموعة كبيرة منها الآن فى مكتبة جامعة كولومبيا، وهذه الخطابات إن دلت على شىء فإنها تدل على تأثر سانتيانا إلى درجة كبيرة بأفكار أبيه، حيث نجد على سبيل المثال أن أوغسطين سانتيانا (الأب) يعبر عن رأيه تجاه الروايات الدينية عن العالم لابنه سانتيانا، بأن العقائد الدينية تؤخذ فى الإعتبار على أنها نوع من الشعر، وبالطبع عندما تم تعميد سانتيانا عمّد على أنه كاثوليكى، وقد تعمدت أخته سوزانا أيضا على أنها كاثوليكية، ولكن أخته كانت كاثوليكية متحمسة مما جعلها ترى أن أخيها سانتيانا يمثل واحداً من الكاثوليك، فى حين لم تر فى والديها أىّ إمكانية لوصفهم بالإيمان[3].

ولذلك كانت أقوى عاطفة عند سانتيانا تجاه عائلته، هى التى يكنها لأخته سوزانا غير الشقيقة، والتى تكبره بعشر سنوات، حيث كانت سوزانا القائد لهذه العائلة على الرغم

(1) Ibid: p.22.
(2) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.
(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.23.

من كونها مازالت فى سن المراهقة، فقد كانت كاثوليكية متعصبة مما سبب لها بعضا من التوتر فى علاقتها بأخويها البروتستانت، كما أنها علمت سانتيانا طهر وبراءة الكتب الدينية، حيث رأت أن أخيها سانتيانا نما فى الصغر فى ظل الكاثوليكية، وذلك على الرغم من أن سانتيانا كان فى بعض الأحيان يحضر بعض القداسات البروتستانتية[1].

وفى هذا المقام لابد من ذكر تلك الأحداث العصيبة التى كان لها أكبر الأثر فى نظرة سانتيانا (التشاؤمية) تجاه الحياة الإنسانية وبخاصة الحياة الأمريكية منها:

الأولى: هى وفاة ابن عمته "أنتونيتا" Antonita الذى كان يعيش تحت كنف والد سانتيانا فى أسبانيا، حيث أن صرخات الحزن والأسى، وملامح هذا الطفل الميت الذى كان يشبه المرمر الأخضر Green Alabaster وهو ينظر إلى سانتيانا الصغير عند موته، فقد كان كما يقول سانتيانا عنه "طفلاً شديد الجمال لابد أن يعيش" too beautiful to be alive، فموت أنتونيتا جعل سانتيانا يشعر بهجر أمه له، كما جعله يشعر بنظرة تشاؤمية تجاه الحياة منذ البداية، حتى أصبحت الأشياء بعد ذلك فى منتهى الصعوبة[2].

أما **الواقعة الثانية**: فهى أن سانتيانا أصيب بصدمة شديدة ومفجعة عندما علم أن صديقه "سانبورن" Sanborn قد أصابه مرض الجنون، وفى عام 1889 قام بقطع رقبته فى الحمام، وهنا يشير الواقع إلى أن العديد من الشباب الذين تخرجوا من جامعة هارفارد قد كانت نهايتهم مبكرة بالموت العاجل، وهذا الحدث كان يبدو لسانتيانا علامة

(1) Ibid: p.24.
(2) Ibid: p.22.

للفشل فى الحياة الأمريكية التى لا تقدم أى هدف ثقافى أو أية حساسية للشباب الأمريكان[1].

أما عن المراحل التعليمية لسانتيانا، فقد التحق فى البدء بمدرسة مجانية لتعليم الأولاد الفقراء، ثم بعد ذلك التحق بمدرسة بوسطن اللاتينية، حيث قضى بها ثمانى سنوات كانت من أخصب سنوات عمره المديد، كما كانت سنوات النجاح[2]، وبعدها التحق بكلية هارفارد، وبعد تخرجه من كلية هارفارد، درس فى ألمانيا لمدة سنتين[3].

وفى عام 1888 عاد سانتيانا إلى جامعة هارفارد ليكمل دراساته العليا تحت إشراف "جوزايا رويس"(1855-1916) Josiah Royce وقد أكمل رسالته للدكتوراه فى الموضوع الذى تبناه بحماس تحت عنوان "نسق لوتزه الفلسفى"[4]. وبعدها عين سانتيانا بالجامعة نفسها محاضراً لمدة تسع سنوات، فأستاذًا مساعدًا لمدة تسع سنوات أخرى، فأستاذًا لكرسى الفلسفة بالجامعة بعد موت أستاذه جوزايا رويس، وظل يشغل هذا المنصب حتى غادر هارفارد سنة 1912[5]، وكان عندئذ قد أوشك على الخمسين من العمر(6). وهذه تمثل الفترة الأولى فى تطور حياة سانتيانا الفكرية،

---

(1) Ibid: p.25.
(2) Ibid: p.25.
(3) Frederick A. Olafson: George Santayana, in: the Encyclopedia of Philosophy, Edited by, Paul Edwards, vol VII, Macmillan Reference, New York, 1996. PP, 282, 283.
(4) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.26.
(5) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 19.
6() زكى نجيب محمود: من زواية فلسفية، مرجع سابق، ص153.

وهى الفترة الأكاديمية فى جامعة هارفارد بأمريكا، وهى الفترة التى كتب فيها سانتيانا كتاباته الجمالية والفنية.

وهنا يصف سانتيانا تلك الحالة التعليمية التى مر بها فى جامعة هارفارد، حيث رأى أن البدايات السيئة له كطالب فى جامعة هارفارد قد تم اختتامها بنهاية مشرفة، فيقول عن ذلك "على الرغم من درجاتى المتوسطة فى بعض المواد إلا أننى حصلت على درجة البكالوريوس والماجستير من نفس الجامعة، حيث اعتقد أساتذتى أن موهبتى التأملية وفهمى وإدراكى للفلاسفة العظام جعلنى أتبوء المقام الأول فى الجامعة"[1].

وعندما كان سانتيانا هو الفيلسوف الكثير التجوال والترحال، فقد كان غير راضٍ فى أن يعمل فى مهنة التدريس فى جامعة هارفارد، فإذا كان قد أحب الدراسة لذاتها إلا أنه كره أن يكون مدرساً[2]، فتراه يقول عن نفسه "إنه اضطر إلى مهنة التدريس لأنه لم يجد صنعة أخرى يشتغل بها"[3]. وقد كتب فيما بعد قائلاً "كنت أكره أن أكون مدرساً"[4]. فعلى الرغم من قدرته على القراءة باللغة اللاتينية واليونانية والفرنسية والإيطالية والألمانية، إلا أنه لم يكن يتقن هذه اللغات بشكل كبير[5].

---

(1) G. Santayana: persons and places, op. cit, P. 253.

(2) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 21.

(3) زكى نجيب محمود: فلسفة وفن ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ، القاهرة، 1963، ص118.

(4) هنرى توماس ودانالى توماس: المفكرون– من سقراط إلى سارتر ، ترجمة/ عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1970، ص473.

(5) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

هكذا نظر سانتيانا إلى تدريسه بالجامعة كنظرته إلى الواجب الكريه، الذى لم يكن منه بد ليعيش أولاً، أو لكونه وسيلة ليدعم موقفه المالى فى رحلاته الكثيرة والمتعددة إلى خارج أمريكا، كما كان يدخر بعض الأموال لكى تعينه فيما بعد على حياة العزلة وتقاعده عن التدريس الذى كان متوقعًا[1].

ولقد زار سانتيانا إنجلترا عدة مرات فى عام 1896، حيث أظهر حبه وعشقه الشديد لهذه البلدة، كما كان على علاقة قوية بها، حيث كان يشعر دائما بعاطفة جياشة نحو التطورات الفلسفية هناك، فقد أقام علاقات واتصالات كثيرة مع بيرتراند رسلBertrand Russell ، حيث يبدو أن رسل هو الرجل الإنجليزى الأول الذى قابله سانتيانا عندما أرسل إلى جامعة اكسفورد، كما زار رسل الولايات المتحدة الأمريكية فى عام1886 ، حيث زار هارفارد لبضعة أيام وقدمه أحد الأشخاص لزيارة سانتيانا، ثم كون سانتيانا عنه انطباعات من منظور أن رسل مستمع جيد، وقد استمرت صداقتهم الحميمة حتى مات سانتيانا، ولقد أظهره سانتيانا فى إحدى رواياته وهى "البيوريتانى الأخير"the Last Puritan تحت اسم "جيم دارنلى"Jim Darnley وهو الاسم الحركي والمستعار للورد جيم الذى اعطاه سانتيانا إياه لصديقه رسل[2].

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 21.
(2) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.26.

كما يبدو أن سانتيانا كان على علاقة أقل سعادة مع الفيلسوف الإنجليزى جورج إدوارد مورG. E. Moore، كما استمتع أيضا بمناقشاته مع ماكتجارتMctaggart الذى أصبح صديقا حميما له، على الرغم من كونهم فلاسفة عظام لإتجاهات فلسفية مختلفة[1].

ولم يكن سانتيانا راضياً بتلك البلدة التى اختارها، فقد لطف العلم روحه وأرهف الشعر إحساسه، فقد كان شاعراً وفيلسوفاً، كما عانى من صخب الحياة الأمريكية المدنية، فاتجه بالغريزة إلى بوسطن، وكأنه أراد أن يكون قريباً من أوروبا[2]. وقد تزايد بغض وكراهية سانتيانا للحياة الأمريكية بصفة خاصة وذلك عند وفاة والدته فى عام1911[3].

كما لم يكن سانتيانا يمارس الألعاب الرياضية التى كان يمارسها الصبية الآخرون فى طفولته، وإنما كان يستمتع بمشاهدة تلك الألعاب من خلال الصفوف الجانبية، وفى ذلك يقول عن نفسه "لقد كنت الطفل الوحيد الذى لم يمارس الألعاب الرياضية، فكنت أجلس فى المنزل طوال فترة النهار والمساء للقراءه أو الرسم، وبالأخص كنت منهمكًا فى أى شىء أجده من كتب الدين أو الفن المعمارى أو حتى كتب الجغرافيا"[4].

ولكن إن لم يكن فيلسوفنا – يمارس الألعاب الرياضية، فإنه كان له شغف خاص بكرة القدم، فالمباراة كانت عنده بمثابة قصيدة مليئة بالحياة، وقد كتب فى هذا

---

(1) Ibid: p.26.
(2) Will Durant: Outlines of Philosophy, Ernest Benn, Ltd, London, 1962, P. 418.
(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.27.
(4) G . Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

يقول" هنا على أرض الملعب ، ذات المساند العريضة، بعيداً عن المدينة، حيث لا يظلك إلا السماء ولا يحيط بك من بعيد إلا التلال، وحيث الرياح دائمة الهبوب، يضيف الصراع على الكرة جمالاً على جمال الطبيعة ... هنا تلمع فضائل الأبطال فى صورة مصغرة وتعود إليك النشوة الساذجة التى كانت تميز العالم القديم وكأنك فى حلم"(1).

وعلى النقيض من "وليم جيمس"(1842-1910)William James، الذى كان لاعبًا إيجابيًا فى المباراة، كان سانتيانا يفضل أَن يبقى مشاهداً سلبياً، إلا أنهما اشتركا أساساً فى معتقد واحد، فعندهما أَنه من الخير أَن تمرن عضلات جسمك لتشترك فى نضال مفيد للصحة لكنه شريف، وأن تطهر نوافذ روحك، لتتمكن من مشاهدة منظر شامل واضح لجهاد الحياة خلال العصور.

ولذلك كان سانتيانا قليل الاهتمام بما يأخذ به المجتمع من أسباب الترفيه، فلم يتزوج قط، مع أنه كان على الدوام يتحدث إلى السيدات، لكنه لم يراقصهن أبداً، لأنه لم يكن يعرف الرقص، ويقول فى ذلك " لقد كنت أحب سيدات بوسطن واستمتع بالحديث إليهن، فهن قد سافرن كثيراً، وقرأن وتثقفن أكثر من الرجال"(2).

ويروى عنه – أنه ذات يوم ، بينما كان فى غرفة المحاضرة يلقى دروسه على طلابه، فحانت منه التفاتة إلى خارج النافذة، وأطال النظر، وكان الطقس بارداً ممطراً، ثم استدار إلى طلابه قائلاً لهم "إننى على موعد مع الربيع". فخرج من قاعة الدرس

1() هنرى توماس: أعلام الفلاسفة – كيف نفهمهم ، ترجمة / مترى أمين، مراجعة وتقديم/ زكى نجيب محمود ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1964، ص384.

(2) هنرى و دانالى توماس: المفكرون– من سقراط إلى سارتر، مرجع سابق، ص470.

بخطوات سريعة ولم يعد بعدها أبداً[1]، فسافر إلى أوروبا حيث أقام حيناً فى اكسفورد (وكان ذلك إبان الحرب العالمية الأولى) وحيناً أخر فى روما ، وبين الحينين أخذ يتنقل هنا وهناك فى ربوع أوروبا[2].

ولقد قضى سانتيانا ما بقي من عمره بصفة رئيسية فى الفنادق، أو فى زياراته لصديقه "سترونج "Strong، أو فى زياراته إلى أخته، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عام1914 أجبر سانتيانا فى أن يمكث فى إنجلترا[3]. وفى عام1920 بلغ سانتيانا السابعة والخمسين من عمره، واستقر حينئذ فى فندق بروما حيث الجمال والطبيعة الخلابة، وكذلك الحياة الهادئة البعيدة عن الإزعاج والاضطرابات، لذلك قضى في هذا الفندق فترة طويلة مما تبقى من عمره[4].

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام1939 كان سانتيانا قد بلغ من العمر إثنين وسبعين عامًا، انتقل ليعيش فى بيت من بيوت العجزة والمسنين، تاركا الحياة فى الفنادق، وذلك لإرتفاع أسعارها، كما كان فى حاجة إلى من يقوم برعايته وذلك لكبر سنه[5]. وفي 14أكتوبر 1944 انتقل سانتيانا إلى روما ليعيش داخل مصحة (عيادة) يديرها مجموعة من الرهبان الكاثوليك، حيث عاش ومات فيها بعد إحدى عشرة سنة من دخوله، ولكن الأمر العجيب هنا أن ترتيبات جنازته ودفنه كانت غير عادية، حيث

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 24.

(2) زكى نجيب محمود: فلسفة وفن، مرجع سابق، ص119.

(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.27.

(4) Ibid: p.27.

(5) Ibid: p.27.

أن المصحة التي كان يعيش فيها فيلسوفنا كانت تستقبل دائماً ضيوفاً ذو مكانة عالية وقدر رفيع، من حيث الاهتمام بهم داخل بيئة معيشية مناسبة، ولكن عندما مات سانتيانا بداء السرطان في 26 سبتمبر لسنة 1952، قبيل بلوغه التاسعة والثمانين بأشهر قليلة، طلب أن يدفن في أرض غير مقدسة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أساس تنشئة سانتيانا الطبيعية، ولكن كانت المقبرة الوحيدة غير المقدسة في ذلك الوقت هي مقبرة للمجرمين، لذلك رفضت القنصلية الأسبانية بروما أن يدفن سانتيانا في ذلك المكان بعد موته، وخصصت له القنصلية مكاناً بالأوبرا الأسبانية، حيث أنه المكان المناسب ليكون مثوىً ومدفنًا للفيلسوف، وقد تحول هذا المكان بعد ذلك إلى مكان أثري وتذكاري لذلك المواطن الأسباني الباهر[1].

(1) Stanford Encyclopedia of Philosophy, at. http://plato.stanford.edu/entries/santayana (02/06/2008).

جذور فلسفة سانتيانا:

يعد تتبع الخلفية الفلسفية لمعرفة مصادر فلسفة سانتيانا من الأمور الشاقة والمعقدة معاً، ويرجع ذلك-فى نظر الباحث- إلى عدة أسباب، يمكن إيجازها فيما يلى:

السبب الأول: يكمن فى أن سانتيانا بدأ أولى كتاباته بنظم الشعر[1]، فعلى الرغم من كونه أستاذاً للفلسفة فى جامعة هارفارد، إلا أنه لم يكتبْ مؤلفاته الأولى بوصفه فيلسوفاً ، وإنما كشاعر، مولع ببعض صور الجمال والحكمة[2]. والدليل على ذلك كما يقول سانتيانا أنه بدأ كتابة الشعر فى سن الخامسة عشر أو السادسة عشر أى قبل فوزه بالجائزة الشعرية للقصيدة[3]. حيث أكد سانتيانا على ذلك بقوله " أما عن تذوق الشعر فقد تلقيته من استاذ انجليزى عظيم وجميل فى فكره، هو السيد بيرون جروتشه" Mr. Byron Groce حيث غرس فى عقلى هذه التأثيرات الدقيقة فى طفولتى، وقد امتدت هذه المؤثرات إلى العائلة "[4].

وبعد ذلك وفى متوسط هذا العمر كتب سانتيانا أولى قصائده، وفاز بجائزة شعرية عن قصيدة كتبها تمتلىء بالعواطف البيرونية الجياشة، فضلاً عن عبارات التشاؤم والأسى، كما احتوت القصيدة على وصف فضل الليل على النهار[5]. حيث قام سانتيانا حينها بترجمة القول المأثور عن "يوريبيديس "Euripides فى عبارته الشعرية "إنه ليس

---

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 133.

(2) جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، مرجع سابق، ص323 .

(3) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 17.

(4) G . Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

(5) Richard Butter; the Mind of Santayana, op. cit, pp. 15:16.

من الحكمة أن تكون فقط حكيماً" فكما يقول سانتيانا أن هذه المقولة الشعرية أعطتنى جملة المشاعر والأحاسيس بل أعطتنى الموسيقى الشعرية التى بنيت عليها القصيدة المكونة من أربعة عشر بيتا[1].

لذلك نجد الروح الشعرية قد اختلطت بالأفكار الفلسفية فى معظم كتابات سانتيانا، لذا كان حقاً علينا أن ندعوه بالشاعر الفيلسوف أو كما قال عنه ا.وولف- أن سانتيانا هو أكبر شاعر فيلسوف تفخر به أمريكا اليوم، وفلسفته هى فلسفة الشعر والجمال والدين[2].

السبب الثانى: ويكمن فى كون فلسفة سانتيانا تضرب بجذورها فى الماضى البعيد وأعنى به – الحضارات الشرقية القديمة، وبخاصة الفلسفة الهندية عند بوذا حيث يرى "جى. جى. كلارك" – أنَّ الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا قد أعطى للفلسفة الهندية كثيرًا من الاهتمام، ومن ثم كان "أهم متلقٍ أصيل لجمّاع الفلسفة الهندية"[3]. وبخاصة فى فلسفة سانتيانا الأخلاقية.

ويتمثل الأثر الرئيسى فى اهتمام سانتيانا بالفلسفة الهندية والبوذية فى اهتمامه بفلسفة "الفينداتا الهندية" – حيث تهيأت له الفرصة ليؤسس نقطة ارتكاز مرجعية

---

(1) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 241.

(2) ا.وولف : فلسفة المحدثين والمعاصرين ، ترجمة/ أبو العلا عفيفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1936 ، ص222 .

(3) جى. جى . كلارك : التنوير الآتى من الشرق ، ترجمة / شوقى جلال ، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، العدد 346 ، 2007 ، ص187.

خارج الفلسفة الغربية، ويستعين بها ليوضح آراءه فى الميتافيزقيا، وبدت الفلسفة البوذية واضحة بخاصة فى كتابات سانتيانا عن الأخلاق(*)، حيث أراد أن يُنشىءَ "أخلاقاً ما بعد العقلانية"Post – Rational Morality . والتى كشفت عن نواقص النزعة الأنانية، وأكدت بدلاً من ذلك على قيم التوازن الباطني والتعاطف مع الآخرين[1]. ولم يقتصر الأمر عند الحضارات الشرقية القديمة فقط، بل امتد التأصيل إلى داخل الفلسفة اليونانية، حيث صنع سانتيانا لنفسه بشكل فلسفى ونقدى الرؤية الخاصة فى الحياة على طريقة كل من أرسطو والتقاليد اليونانية القديمة، وذلك من أجل فهم وإدراك الحياة على أساس من التقدير والتقييم العقلانى للقيم بوجه عام[2].

ويرى المؤلف أن هذه الجذور الشرقية إن دلت على شىء، فإنما تدل على أصالة الفكر الهندى القديم، بل تدل على أن الأساس الذى نبعت منه القيم الغربية بوجه عام، والقيم الأخلاقية بوجه خاص هو الأفكار الشرقية القديمة، وهذا ما أكدت عليه فلسفة سانتيانا، كما أكد سانتيانا على نظرية هامة جدا وذلك بوصفه فيلسوفًا غربياً ألا وهى تهافت نظرية المعجزة اليونانية أمام الأفكار الشرقية القديمة، حيث أنه إذا كان هناك

(*) هناك بحث قام به "جون ماغنوس"– حاول فيه إيضاح أثر الفلسفة البوذية الهندية على فلسفة سانتيانا الأخلاقية – انظر بالتفصيل –

=John Magnus Michelsen: The Place of Buddhism in Santayana's Moral Philosophy, at,http://ccbs.ntu.edu.tw/FULLTEXT/JR-ADM/magnus.htm

(1) جى . جى . كلارك: التنوير الآتى من الشرق ، مرجع سابق، ص188 .

(2) Guy. W. Stroch: American Philosophy from Edwards to Dewey, an Introduction, van Nostrand Reinhold Company, New York, 1968, P.191.

تأصيل لفلسفة سانتيانا لدى اليونان، فإن هذا التأصيل قد اقتصر على فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو فى القيم، وفلسفة ديمقريطس الطبيعية ولم يتدرج إلى الفلسفة اليونانية بوجه عام.

ومن جانب آخر – قام أحد الباحثين ويدعى "سوليفان" Celestine J. Sullivan ببحث ليعرض فيه "ميراث سانتيانا الفلسفى" Santayana's Philosophical Inheritance. فقام فيه بعرض جميع المصادر الأساسية التى استقى منها سانتيانا – فلسفته ، ورأى سوليفان – أن فلسفة سانتيانا تنبع من المثالية اليونانية ، والمادية ، والنزعة الشكية ، أما النزعة الروحانية فقد جاءت إلى سانتيانا من فلاسفة القرون الوسطى والأفلاطونية المحدثة وكذلك الفلسفة الهندية ، وعليها كما يقول سوليفان تبدو فلسفة سانتيانا حافلة بالتقليد كفلسفة جون ديوى (1859-1952) John Dewey – فى التعبير عن المزاج المعاصر[1]. فى حين أن سانتيانا لا يوافق أن تكون معظم فلسفته حافلة بالتقليد، أو المؤثرات اليونانية، أو غيرها من المؤثرات التى ذكرها سوليفان، فقد أكد سانتيانا على ذلك بقوله "إن فلسفتى ربما ينظر إليها على أنها من صنع هذه التقاليد المختلطة والمتنوعة، أو على أساس أنها عبارة عن محاولة للنظر فى التقاليد المختلفة من حيث وجود هذه الحريات المتعددة بشكل عادل ومفهوم. فأنا لا أؤكد أن ذلك هو أصل وأساس نسقى الفلسفى، فعلى كل حال فإن

(1) Celestine J. Sullivan: Santayana's Philosophical Inheritance, in: The Philosophy of George Santayana, edited by, P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1951, P. 65.

صدق هذه القضية ربما يكوّن سؤالاً آخر، وهو إلى أى مدى كانت فلسفتى بعيدةً عن تلك المؤثرات؟ وما الكيفية التى كنت أحيا من خلالها"[1].

وهنا يشير سانتيانا إلى حقيقة هامة، وهى الحقيقة العظمى التى تأثر بها سانتيانا فى فلسفته بوجه عام، وكانت بالنسبه له شعاع الضوء الذى به رأى العالم، وهى ذلك الأثر العميق الذى خلفه والده له وهو إيمانه بالإتجاه المادى والشعر ورفض الدين عن طريق استخدام الشك فى التفكير، فيقول سانتيانا عنه "لقد درس والدى الدولة والقوميات، وكتب كتابا صغيرا عن جزيرة ميندانوMindanao كما أبحر وطاف حول العالم ثلاث مرات فى سفن الإبحار التى كانت موجودة فى هذا الوقت، وقد زار عن طريق الصدفة إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، وتأثر كثيرا بالطاقة الهندسية والتقدم العلمى الذى كان منتشرا فى تلك البلدان، ولكن شغفه وحبه العميق كان لروعة الإتجاه المادى، ومع ذلك كان لديه عقل شاك ومتقلب تجاه رؤيته وتمييزه للأشياء"[2].

وبعد أن صرح – سوليفان بتلك العناصر الجمة التى كانت سبباً فى تكوين فلسفة سانتيانا جاء ليوضح فى بحثه المذكور سالفاً – أن ذكر هذه العناصر ليس انتقاداً لأصالة فلسفة سانتيانا، وإنما أراد منها تقديم بعض العناصر التى ساهمت فى تكوين فكر سانتيانا التقليدى، وذلك لتذكير القارئ كيف عالج سانتيانا هذه الاشكاليات، وما الذى أخذه من سابقيه، وما الذى قام برفضه، وكيف جمعهم سانتيانا سوياً فى فلسفته

(1) G . Santayana: General Confession, op. cit, P. 3.
(2) Ibid: P. 4.

الخاصة[1]. كما أكد سوليفان – بعد ذلك على أن العناصر الرئيسية التى شكلت فكر سانتيانا الفلسفى هى ثلاثة – الأفلاطونية اليونانية، والنزعة المادية، والنزعة الشكية[2].

وعندما تحدث سانتيانا عن تفضيله للفلاسفة اليونانيين أشار إلى الفلسفة الطبيعية عند ديمقريطس، وفلسفة أفلاطون الأخلاقية، وأقر سانتيانا بأنه يدين إليهم بالفضل فى تشكيل فلسفته الخاصة[3]. كما صرح سانتيانا بأن المدافعين عن الحياة والطبيعة هم الفلاسفة الأوائل (الهنود Indians وفلاسفة اليونان الطبيعيين معاً) وقد كانت أفكارهم أكثر وضوحاً عند اسبينوزا فى قضيته الرئيسية الخاصة بالعلاقة بين الإنسان وروحه والكون[4]. كما أعجب سانتيانا بفلسفة ديفيد هيوم مما دعا "بالمر "Palmer (أحد أساتذة سانتيانا فى هارفارد) أن يقول(*) عن سانتيانا أنه يحتفظ بهيوم داخل عظامه[5].

أما هربرت سبنسر Herbert Spencer فيقول عنه سانتيانا أنه لم أتعلم منه أى شيء، ولكننى وافقته فى نزعته الطبيعية أو المادية، وذلك لأننا بدأنا معًا بالإفتراض الأدنى للإدراك والفعل، حيث قد اتفقت مع وليم جيمس فى نظرية سبنسر عن التطور والتى هى

(1) Celestine J. Sullivan: Santayana's Philosophical Inheritance, op. cit, P.66.
(2) Ibid: P. 66.
(3) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, p. 36.
(4) Ibid: P. 38.
(*)"I had Hume in my bones".
(5) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 248.

عبارة عن مجموعة من الكلمات أو عبارة عن تعميمات متباعدة من حيث أن بعض الأشياء ربما فى وقت ما قد تقدم وتفترض لنا[1].

أما هنرى توماس – فيرى أن فلسفة سانتيانا تكشف عن مزيج عجيب من الأفلاطونية، والإلحاد، والكاثوليكية ، ومن العجيب أنه يدمج خيوط فكرة الثلاثة هذه- والتى يبدو أنه لا يمكن التوفيق بينهما- فى نسيج واحد متماسك من الحكمة[2].

السبب الثالث: يبدو فى تلك الفترة الوسطى التى قضاها سانتيانا دارساً ومدرساً فى أمريكا، حيث ظل سانتيانا فى أمريكا أربعين سنة من الطفولة حتى بلوغه متوسط العمر، تعلم هناك فيما بين رياض الأطفال والمدارس العامة، والتحق فيها بالكلية والجامعة، كما كتب فيها أحد عشر من كتبه، واكتسب سانتيانا قوة كمعلم للفلسفة حتى بلغ الخمسين من العمر، وفيها تقاعد عن التعليم فى يناير 1912، وترك شواطئ أمريكا ولم يعد إليها مرة أخرى[3].

وقد بدأت الخلفية الفلسفية لسانتيانا تتكون فى تلك الفترة، حيث درس فى هارفارد على يد جيمس فلسفة "تين"(*) Taine خاصة كتابه فى الذكاء، ونظريات كل

---

(1) Ibid: P. 242.

(2) هنرى توماس: أعلام الفلاسفة – كيف نفهمهم ، مرجع سابق ، ص387.

(3) Baker Brownell: Santayana, the Man and the Philosopher, in the Philosophy of George Santayana, edited by, P. A. schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951, P. 51.

(*) فيلسوف فرنسى، ومؤرخ للأدب والفن. ولد فى مدينة فوزييه Vouziers (فى أقليم الأردن Ardennes بشمال شرق فرنسا) فى 21 أبريل سنة 1828، وتوفى فى لاريس فى 5 مارس سنة 1893. واتسع ميدان نشاطه فى التأليف: فأصدر فى سنة 1853 كتابا عن: "لافونتين وخرافاته"

من "لوك" و "باركلى" و "هيوم" و "سبنسر"كما قرأ عليهم جيمس مخطوط كتابه "مبادىء علم النفس" Principles of Psychology – ويقول سانتيانا عن براجماتية "جيمس" إننى لم استطع قبول حديث جيمس عن الصدق، حيث كانت براجماتيته مجرد نزعة تجريبية خالصة، وعلى الرغم من ذلك هزت العالم بأجمعه، وذلك على الرغم من أنه يقول عن جيمس أن ما تعلمته منه ربما كان أشياء لم يعلّمْها جيمس لأحد، ولكنى استوعبتها مما كنت أنهله من روحه، وطريقته التى كان يعلم بها[1].

أما عن رويس، فإن سانتيانا يقول عنه أنه كان يتمتع بعقلية علمية قوية، لذلك كان مفيداً بصفه دائمة فى أفكاره، إن لم يكن لطيفاً للاستماع إليه، والسبب فى ذلك – كما يرى سانتيانا هو أسلوب رويس الثقيل الجامد والتكرارى، وكذلك انشغاله الرتيب بنظامه الخاص الذى لا يطاق، وذلك مما يجعل تأثير جيمس يبدو أقوى على سانتيانا

وفى سنة 1856 كتابا عن "تيتوس لفيوس المؤرخ الرومانى الكبير" وفى عام 1864 أصدر كتاب "تاريخ الأدب الانجليزى" (فى 3 أجزاء) وبذلك استقرت مكانته مؤرخا للأدب وصاحب نظرية فى تفسير الإنتاج الأدبى مفادها أن الأدب حاصل عوامل ثلاثة : الجنس، والوسط، واللحظة. أما فى الفلسفة فله أولا كتاب " الفلاسفة الفرنسيون فى القرن التاسع عشر" سنة1857، ثم كتابه الرئيسى فى الفلسفة ألا وهو "فى العقل" سنة 1870.

انظر– عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص432.

(1) ت. ل. س. سبيريدج : الصورة المميزة في الفلسفة الأمريكية، بحث منشور في كتاب – تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200عام، إعداد/ بيتر كاز، ترجمة/ حسني نصار، مراجعة مراد وهبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1983م، ص402.

الطالب والفيلسوف من تأثير جوزايا رويس[1]. وعلى كلٍ فإن دراسات سانتيانا كانت متمركزة حول الفلسفة كما يرى اسبريج، وقد كانت فلسفة اسبينوزا الأخلاقية هى الفلسفة المفضلة إليه، كما كان الأستاذان الذين قاموا بعنايته هما جوزايا رويس ووليم جيمس، ولكن لم يشعر سانتيانا بأية عاطفة نحو فلسفة كل من هذين الأستاذين، ولكن بواسطتهم قد بدا أنه تأثر بهما تأثراً ملحوظاً[2].

وفى اعتراف سانتيانا بفضل وليم جيمس فى تكوين عقليته الفلسفية والفكرية – يقول عنه " إن ما تعلمته من جيمس ربما كان تلك الأشياء التى لم يعلمها جيمس لأحد، ولكنني شربت منه تلك الروح الفكرية، كما استوعبت تلك الخلفية التى كان يعلم بها طلابه ومريديه "[3].

وعلى ذلك يمكن القول – أن سانتيانا كوَّن مع أستاذيه وليم جيمس وجوزايا رويس – فى أمريكا نوعاً من وحدة التأصيل التى تشير إلى ملحمة رائعة، لا فى تاريخ الفلسفة الأمريكية فقط ، بل فى تاريخ الفلسفة الغربية أيضاً، هؤلاء هم فلاسفة هارفارد، الذين ظهروا فى عصر تميز باضطراب التطور هم وليم جيمس، وجوزايا رويس، وجورج سانتيانا[4].

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 30.
(2) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.26.
(3) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 15.
(4) ت.ل.س. سبيريدج: الصورة المميزة فى الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق، ص393.

تلك هى أهم المصادر الرئيسية التى كان سانتيانا يدين لها بالفضل فى أفكاره الفلسفية، أخذاً عن والديه الفكر الهادى والعقيدة الكاثوليكية التى من صنع الخيال، ومن فلاسفة الهند واسبينوزا الفكرة الأخلاقية، أما فلاسفة اليونان فهم المصدر الرئيسي لفكر سانتيانا، وبخاصة ديمقريطس وأفلاطون وأرسطو، وكذلك الفكر الشرقى القديم، كما كانوا المصدر الرئيسى لكل فلاسفة المغرب والمشرق على السواء، أما جيمس ورويس فهما الأستاذان الفاضلان الذين أخذ عنهما سانتيانا أصول فكره الرئيسية فى أمريكا بل وأوروبا أيضاً.

واقعية سانتيانا الطبيعية:

الاهتمام بالطبيعة ليس وليد الفلسفة المعاصرة فى القرن العشرين، فإذا كان الفيلسوف محل الدراسة يعد إمام النزعة الطبيعية فى القرن العشرين، إلا أنه لم يكن هو أول من صاغ للفلسفة الواقعية أساسًا طبيعيًا، حيث أشار سانتيانا بنفسه إلى أن الفلسفة اليونانية كانت تؤمن بالطبيعة والسياسة أكثر من إيمانها بالروحانيات، ولم يتيسر للفلسفة اليونانية حتى الآن أن تتحول إلى هذا الندم المتعالى الذى لعب دوراً كبيراً فى الفكر الهندى القديم، كما وجد ذلك الندم الترنسندنتالى بعد ذلك فى التأملات المسيحية[1]. وقد أشار سانتيانا إلى الفلسفة اليونانية قبل سقراط، حيث توصل الفلاسفة اليونانيون بشكل تقليدى إلى حقيقة الفلسفة الطبيعية، والتى تم تأسيسها وإعادة بنائها متأخرًا على يد اسبينوزا وكذلك العلم الحديث، فالفلاسفة الطبيعيون كما يقول سانتيانا يتنازعون فيما بينهم البين، وذلك بسبب كونهم مرتبطون فى مهمة إدراك ذلك الموضوع الذى لم يتحدد بعد، فهم حتى الآن مازالوا يرسمون ويتصورون البناء والتاريخ لذلك العالم الطبيعى الذى يحيا فيه كل واحد منهم[2].

واستكمالاً لما سبق، فقد أكد سانتيانا على أن أى دراسة أو وصف للأشياء الطبيعية فى مستواها الخاص عبارة عن دراسة أو وصف للمادة، وأن أى فلسفة لكونها مادية تماثل فلسفتى، حيث تعتبر دراسة أو علما للطبيعة فهى تعمل على درجة عالية من

(1) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , in: the philosophy of George Santayana, Edited by Paul Arthur schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951, P. 509.

(2) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 22.

الكفاءة[1]. ولهذا السبب كما يقول سانتيانا استخدمت كلمة النزعة الطبيعية عوضًا عن كلمة النزعة المادية، وذلك لأعبر عن معتقداتى الأساسية، ولكن كلمة النزعة الطبيعية تبدو انفتاحية أكثر من اللزوم، حيث تستخدم كتعبير عن المراوغة السيئة، فالنزعة الطبيعية ربما تشمل فى داخلها النزعة السيكولوجية، أو ربما تعنى فقط إحدى الاهتمامات الأخلاقية أو إحدى النظريات المنطقية المتاحة للتفكير المطلق، أما مصطلح المادية فإنه يبدو لى أكثر أمانًا لأنه أكثر دقة[2].

ولقد أشار سانتيانا إلى أن كلمة الطبيعة أحيانًا تكتب بحروف كبيرة كما لو كانت الطبيعة تمثل العنصر الإلهى أو العنصر الشخصى، ففى الفلسفة القديمة والإدراك العام وكذلك العادات والقوى جميعها كانت تخص الطبيعة التى تتضمن بالتأكيد خاصية أخلاقية فى تكوين الشخصية. فالشعراء يمدحون الطبيعة، وعلماء اللاهوت يقومون بتكرار مناهجها الرائعة فى نظام واضح، فكل هذه الأساطير عن الطبيعة تكون أساطير طبيعية، وربما توضح هذه الأساطير بشكل أفضل التقدير الكامل لماهية الطبيعة خير من العلوم الفيزيقية الدقيقة[3]. ولذلك كانت كلمة الطبيعة كلمة شعرية بدرجة كافية، حيث تقترح للإنسان الفكرة الطبيعية لأصل نشأته، كما تسيطر على وظيفته الرئيسية[4].

(1) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 507.
(2) Ibid: P. 508.
(3) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, Dover Publications, Inc, New York, 1925, PP 233,234.
(4) Ibid: PP. 237,238.

فإذا كانت الطبيعة هى النسخة المطابقة والنسخة العظيمة للفن[1]، فإن الطبيعة كما يقول سانتيانا "عبارة عن لوحة فنية موجودة فى الذاكرة قابلة لأنقش عليها الرسم المنظورىPerspective لتجربتى الشخصية"[2].

ولقد بدت النزعة الطبيعية عند سانتيانا عبارة عن نسق ونظام أولى وأساسى، أو بالأحرى نستطيع القول بأن النزعة الطبيعية ليست نظام خصوصى على الإطلاق، حيث أن الهيكل الذاتى والحتمى للمعتقدات المعقدة فى الحياة الحيوانية، يجعل هذه المعتقدات لها أنظمة الفلاسفة المتنوعة من حيث أن تكون ممتدة وشاملة للبيئة الخارقة التى تكون طبيعية بالفعل فى جوهرها الخاص بها، أو تكون عبارة عن تأويلات أو تفسيراتInterpretation (كما عند أرسطو واسبينوزا) أو تكون عبارة عن مجموعة استنكاراتDenials (كما فى المذهب المثالى)[3]. وعليها لا يمكن أن تكون النزعة الطبيعية أكثر رومانسية، وذلك لأن الطبيعة حينئذ سوف تصبح عبارة عن قصة، ولا يمكن أن تكون هى العالم[4].

وعليها أصبحت فلسفة سانتيانا فلسفة طبيعية تفسر الطبيعة بنفسها، فهو يذهب كما يذهب الفلاسفة الواقعيون – إلى أن وعى الإنسان بشىء ما من أشياء العالم

(1) Ibid: P. 236.
(2) Ibid: P. 242.
(3) George Santayana: Dewey's Naturalistic Metaphysics, in: the Philosophy of John Dewey, edited by, p. A. Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951, p.245.
(4) Ibid: P. 253.

الواقعى دليل على وجود ذلك الشيء كما هو فى ذاته خارج الذات الواعية له، فمعرفة الإنسان للشئ الذى يدركه هى صورة تمثل ذلك الشئ تمثيلا صحيحا، على أن الانسان إذ يتصل بالأشياء ليدركها ، فإنما يتصل بها اتصالاً مباشرًا لا تكون فيه حلقى وسطى بين الذات العارفة والشيء المعروف[1]. لأن هدف الفيلسوف الطبيعي كما يقول سانتيانا –" هو وصف العالم منذ بدايته Its beginning " (إن كان له بداية) وأن يحدد التحولات Transformations– التى تمت فيه عن طريق التحليل وليس عن طريق التصور[2].

ولذلك يستطيع العالم فى النزعة الطبيعية عند الفيلسوف محل الدراسة أن يحتوى بكل سهولة شتى الأشياء غير المادية تحت إطار وجودها المادى، وذلك مثل الكلمات والأحاسيس والمشاعر والأفكار، والتى من المحتمل أن يتم تمييزها فى هذه الخبرة الإنسانية، حيث أننا غير ملزمين أو مجبرين فى النزعة الطبيعية أو هذا الاتجاه المادى بأن نتجاهل هذه الأشياء غير المادية. فالخاصية الأساسية فى الأشياء غير المادية أنه يمكن إدراكها عن طريق كونها أسماء أو أشكال أو وظائف أو لكونها عبارة عن نتائج متلازمة لتلك الأشياء المادية[3]. كما أن الكائنات الطبيعية التى تظهر فى عالم الواقع من المشاعر والأحاسيس الخاصة بالإنسان الطبيعى هى عبارة عن صورة أخلاقية لهذه الحياة

(1) زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، مرجع سابق، ص154.

(2) G. Santayana; Realm of Being, op. cit, p. 194.

(3) G. Santayana: Dewey's Naturalistic Metaphysics, op. cit, p. 246.

الطبيعية[1]. فعلى سبيل المثال– إذا كنت أدرك هذا القلم فى يدى ، وهذه الورقة أمامى ، فلابد أن يكون القلم والورقة موجودين وجودًا حقيقيًا لا يجوز الشك فيه[2].

فإذا سأل سائل – كما يسأل الفلاسفة – ومن ذا أدراك حين تعى مجموعة من الصفات مجتمعة، ككون القلم وشكله وصلابته بين أصابعك، أن تكون هذه الصفات قد اجتمعت فى شيء خارجى له وجود مفارق لوجود أفكارك الكائنة فى ذهنك أنت ؟ أليس كل ما تعرفه معرفة مباشرة هو خبرتك أنت التى هى فى دخيلة نفسك ؟ فما الذى يسوغ لك أن تجاوز هذه الخبرة الداخلية المباشرة لتزعم أن شيئًا خارجيًا يقابلها[3].

أجاب سانتيانا – بما أسماه "الإيمان الحيوانى" Animal Faith – "وهو عبارة عن غريزة فطرية إدراكية أو يقين تجريبى أو حتى كونه عبارة عن سببًا عمليًا"[4]. ففى كيان الإنسان الطبيعى هذا "الإيمان" بأن معرفته الداخلية صورة من عالم خارجى موجود، على اختلاف ما بين الجانبين ، فالجانب الداخلى وعى وعقل، والجانب الخارجى مادة[5]. وقد أكد سانتيانا على ذلك الإيمان الحيوانى بإعتباره مصدرًا للمعرفة، حيث يعد عند فيلسوفنا مصدر ثقته الوحيد فى هذه الحياة الطبيعية، فذلك الإيمان هو نفس الشيء الذى يعطي للطفل الصغير الثقة والآمان تجاه والديه أو تجاه الحيوانات الأليفة، كما أن

---

(1) Ibid: p. 246.

(2) زكى نجيب محمود: فلسفة وفن ، مرجع سابق، ص 120.

(3) زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، مرجع سابق ، ص155.

(4) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 585.

(5) زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، مرجع سابق، ص155.

هذا النمو العقائدى المخيف للدين الإنسانى هو إمتداد بهذا الشعور فى أن الطبيعة هى الشخص أو مجموعة من الأشخاص فى صفات ثابتة، ولكن فى شخصيات سهلة التطويع[1]. ولا يعنى ذلك أن تكون الفلسفة الطبيعية عبارة عن فكرة علمية، فيؤكد سانتيانا ذلك بقوله " إن فلسفتى الطبيعية ليست فكرة علمية، بل هى اقتناع عادل جاءتنى كما جاءت أبى من خبرة العالم وملاحظته .. ويبدولى أن غير الماديين لا يحسنون الملاحظة "[2].

فإذا كان برتراند رسل قد أخبر سانتيانا فى انسجام جميل، أنه يتنهد كعاشق للمعرفة، ويطيع كابن للطبيعة[3]، ولكن سانتيانا يعتقد أن رسل كاد أن يدرك كيف يكون ذلك الإيمان وظيفة أساسية للشىء الذى أقوم بوصفه، حيث اعتقد رسل أن الإيمان الحيوانى الذى ينادى به سانتيانا عبارة عن بديل سىء للمعرفة فى مبادئها، وذلك كما يعتقد "بانفى"Banfi أن الماهيات بديل للموضوعات غير المعروفة فى نظرية المعرفة، ولكن الماهيات أوضح وأقرب كما يقول سانتيانا من أى شىء أخر قد أحتاج إلى البحث عنه أو تأكيده أو حتى احترامه، وهذا الإيمان الحيوانى بعيد كل البعد عن كونه بديلاً للمعرفة، إذ أن هذا الإيمان هو مصدر للاستعلام، فبسبب كوني أمتلك ذلك الإيمان الحيوانى، وأعتقد بأنه يوجد شىء يمكن اكتشافه أو يمكن الحصول عليه، فأستطيع أن أضع فى الإعتبار أن إدراكاتى هى إدراكات للمعرفة، وأن نضع فى الإطار

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op. cit, P,234.

(2) هنرى توماس ودانالى توماس: المفكرون من سقراط إلى سارتر، مرجع سابق، ص471.

(3) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 585.

تلك الافتراضات والتى بدون الإيمان سوف تصبح جميعها عبارة عن حدس للمعلومات والبيانات[1].

لذلك لابد من الركون إلى هذا "الإيمان الحيوانى" – لكى نفرق بين حالتين مختلفتين من حالات الإدراك : أولاهما حالة نثق فيها بأن "الجوهر" – أو إن شئت فقل "الفكرة" – الماثلة فى أذهاننا هى كذلك متجسدة فى شىء عينى خارجى، وأما الثانية وهى حالة نتعلم فيها أن "الجوهر" الماثل فى الذهن ليس متجسدًا فى شىء عينى خارجى، كما هى الحال فى المدركات العقلية وفى التصورات الخيالية وما إلى ذلك[2].

وذلك لأن المادة بتجديدها الذاتى هى أعمق شىء فى العالم، إنها أبعد شكل لكل شىء يمكن اكتشافه، فهى العالم الممكن اكتشافه بكامله فى حركته الأساسية ، إنها ما ينبرى دائمًا أمامنا فى الحس وفى الفن ويستبد بمصائرنا[3]. وعليها يكون عندنا وجودين: وجود عينى يقابل الأفكار ذوات المسميات الخارجية، ووجود ذهنى لمدلولات الأفكار الأخرى التى نعرف أن ليس لها مسميات خارجية[4].

---

(1) Ibid: P. 586.

(2) زكى نجيب محمود: حياة الفكر فى العالم الجديد ، دار الشروق، الطبعة الثانية، بيروت، 1982م، ص204.

(3) جورج سانتيانا: مولد الفكر وبحوث فلسفية أخرى، ترجمة/ لجنة من الأساتذة الجامعيين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت ، ص127.

(4) زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، مرجع سابق، ص156.

إن الفرق الجوهرى بين الوجودين: الفكري من جهة والفعلي من جهة أخرى، هو نفسه الفرق بين ما كان أرسطو قد أسماه بالوجود بالقوة والوجود بالفعل، فالأول وجود بالإمكان فقط، مستعد لأن يخرج إلى الفعل إذا ما توافرت الظروف المواتية، والثانى وجود متعين متجسد فى أشياء واقعية، وواضح أن الموجودات الممكنة أكثر عددًا من الموجودات الفعلية، لأن تصور العقل للممكنات لا نهاية له ولا حدود، وأما الموجودات الفعلية فمقيدة بالواقع الكائن المتحقق، فكل موجود فعلى كان من قبل موجودًا ممكنًا ، ثم تحقق[1].

إذاً هناك عالمان : عالم الممكنات وعالم الأشياء المتحققة، وهذا العالم الثانى مسبوق دائمًا بالعالم الأول، إذ محال على شىء أن يتحقق وجوده فى العالم المادى إلا إذا كان قبل ذلك فكرة فى عالم ما هو ممكن ، حتى إذا ما برزت إلى الوجود الفعلى حفنه من بحر الممكنات الزاخر ، كان لنا بذلك ما نسمية "بالحق" – فما "الحق" إلا الممكن الذى تحقق ظهوره بالفعل ، ولكننا قلنا إنه كان يمكن لغيره من الممكنات أن يظهر بدل هذا الذى ظهر فعلاً وأصبح "حقًا" وإذن "فالحق" أمر عرضى لا تحتمه الضرورة العقلية المنطقية ، وأعنى بذلك أنه لم يكن هناك ما يحتم أن يظهر هذا الذى ظهر دون سواه ، أى أن ما نصفه بأنه "الحق" كان يجوز ألا يحدث حدوثًا فعليًا ، وعندئذ كان غيره هو الذى سيوصف بأنه "الحق"[2].

---

(1) المرجع سابق: نفس الصفحة.

(2) المرجع السابق: ص ص156، 157.

ويفسر سانتيانا ما سبق عن طريق المبادئ المادية الصرفة، وذلك هو ما يميز فلسفته بأنها فلسفة طبيعية مادية رغم كل ما اتصف به من شاعرية وروحانية، وذلك أنه جعل مبدأ اختيار العالم الفعلى الواقع من بين العوالم الكثيرة الممكنة لا هو بالمبدأ الخلقى كما ظن "ليبنتز" Leibniz (1617-1646) . ولا هو بالمبدأ العقلى كما ذهب "وايتهد" Whitehead (1861-1947) بل هو مبدأ مادى صرف[1].

لقد أكد سانتيانا – أن نزعتيه المادية فى علم الطبيعة، والإنسانية فى الأخلاق، تعتبر أحد أنظمة الفلسفة المتكاملة، حيث كانت تلك النزعات هى مضمون الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، تلك الفلسفة التى كانت هيلينية حقاً، وتوافقت مع الحركة التى أنتجت أساس الأساليب اليونانية من حكومة يونانية وفن يونانى، والحركة نحو البساطة، والحكم الذاتى، والمعقولية فى كل شىء من الملبس إلى الدين، وهكذا كانت فلسفة عصر النهضة الأوروبية، حيث كانت إعادة تنظيم للعلم والحرية فى العصر الحديث قبل "بيكون" و "اسبينوزا" Spinoza (1963 – 1977) بل قبل المدرسة المعاصرة بأكملها التى ترى فى العلم مضمون الوقائع الحقيقية، وترى سعادة الرجال على الأرض فى مثاليتها، هذا النظام يدعى بالنزعة الطبيعية[2].

ولكن.. ما الدليل الذى يمكن أن يكون لوجود الطبيعة فيما تعنيه هذه الكلمة؟

---

(1) زكى نجيب محمود: حياة الفكر فى العالم الجديد، مرجع سابق، ص ص207: 208.

(2) G. Santayana: Three Philosophical Poets, Doubleday Anchor Books, New York, 1953, p. 13.

يقول سانتيانا "إذا كنت أتحدث عن الكونUniverse بشكل عام، فإنه لا يمكن أن يكون هناك دليل قاطع، فالكون بالطبع يجب أن يكون فى كينونته الحالية، فلا يجب أن يكون له صفة أو خاصية، فالكون يجب أن يمثل فكرة الماهية، ولكن إذا أخذت الكلمة بالمعنى الكلى، فإنها ربما تعبر عن الفوضى achaos التى من خلالها لا يوجد شيئًا يكون مقدرًا، ولا متقدمًا أو متطورًا باستمرار، والتى فيها الأجزاء تكون ذاتية حول المركزSelf- Centered وتكون فيها الأحداث تلقائية[1]. وأن مثل هذا الكون الفسيح لا يمكن أن ندعه بالطبيعة لأنه لا يعطينا الميلاد، لأنه لا يملكه، ولا يعطينا التنشئة أو التربية، أنه لا يحيطنا بأى تأثيرات ثابتة أو مألوفة لدينا، أنه لا يعطينا أية بذور لنمو شجاعتنا أو تحذيرنا[2].

أما الدلائل لوجود الطبيعة فيجب أن نسعى وراءها فى مكان آخر، فى المنطقة التى تسمى بمنطقة المونادات أو الذرات، والتى تعتبر كيان داخلى لكل موناد، وفى هذه الحالة فإن المواد أو الجواهرSubstance التى قد استخدمتها فى إذعان غرائزى الحيوية، فإنها تبدو كأنها تتصرف كما لو كانت أجزاء للطبيعة[3].

ويؤكد سانتيانا نزعته الطبيعية اليونانية الأصل فى قوله"هى عبارة عن مذهب طبيعى فيما يتصل بأصل الجنس البشرى وتاريخه، ووفاءً فى الشعور الأخلاقى ملهم من

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op. cit, P, 235.
(2) Ibid: P, 236.
(3) Ibid: P, 236.

العقل، الذى يتصور به الذهن البشرى الحقيقة والسرمدية، ويشارك فيهما بالفكرة"[1]. وبالتالى تصبح النزعة المادية العامة فى فلسفة سانتيانا مثل أى نظام للفلسفة الطبيعية، لا تحمل معها وصايا ولا نصائح، فهى تصف العالم مجردًا، وتحيل كل ما فى العالم إلى أرض مادية[2].

(1) هربرت شنيدر: تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة / محمد فتحى الشنيطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص ص384، 385.

(2) G. Santayana: Three Philosophical Poets, op. cit, P. 36.

الفصل الثانى

نظريات الصدق بين الفلسفة والمنطق

الفصل الثانى
التباين بين الصدق والحقيقة.

إن مصطلح "Truth" له مقابلان عربيان هما: الحقيقة(*) والصدق – ومن البديهي أن الكلمتين متداخلتان، فيجوز أحياناً إتاحة الحرية للمفاضلة بينهما، واستعمال ما يحبذه المترجم منهما، لكن فى المنطق وما يتصل به من نظرية المعرفة، لابد من استعمال كلمة " الصدق " كترجمة حقيقية لكلمة "Truth " لأن مدار الحديث هو صدق القضية أو التقرير أو العبارة، خصوصاً وأن الصدق هنا يقابل الكذب. وفي الفلسفة والميتافيزيقا، فإننا يجب علينا أن نستخدم كلمة "حقيقة" كترجمة لكلمة "Truth "[1]. وبالتالي يكون للكلمة الانجليزية"Truth " معنيان اثنان، أحدهما يستخدم في مجال المنطق ونظرية المعرفة، والآخر يستخدم على نطاق الفكر الفلسفي والميتافيزيقي بمعني الحقيقة. والذي يعنينا هنا هو مفهوم الصدق من خلال الإطار الذي تم تقديمه في النظريات المتعلقة بمجال المنطق وفلسفات العلم واللغة والعقل، وذلك ليكون مدخل

(*) الحقيقة فى اللغة ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وحقيقة الشيء خالصه، وكنهه، ومحضه، وحقيقة الأمر يقين شأنه، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه والدفاع عنه.

انظر – جميل صليبا: المعجم الفلسفى، المجلد الأول، مرجع سابق، ص485.

(1) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، ، ترجمة/ عادل مصطفى، مراجعة د/ يمنى طريف الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م ، ص 46.

لدراسة الصدق الواقعي فى فلسفة سانتيانا لنعرف الكيفية والمنهج الذي اتبعه فيلسوفنا فى الخروج من التقليد- أعني نظرية المعرفة والمنطق لكي يصوغ نظريته فى إطار الواقعية النقدية المعاصرة- وأعني به إطار الوجود أو الأنطولوجيا.

يعد مفهوم الصدق Truth من المفاهيم المهمة التى احتلت مكاناً بارزاً فى تاريخ الفكر الإنسانى على وجه العموم، والفكر الفلسفى على وجه الخصوص. وهنا يتبلور المعنى اللغوى لكلمة الصدق فى اللغتين العربية والإنجليزية مثلاً أن الصدق ضد الكذب، أو نقيض الكذب، وهو مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم[1]. وفي قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية يعرف الصدق بأنه "التطابق مع الواقعة، والإتفاق مع الواقع". Truth: conformity with fact, agreement with reality،وأول ما نلاحظه على هذا المعنى اللغوى أنه ضيق إلى حد كبير، وبالإضافة إلى ذلك لا يقدم شيئاً لتحديد معنى "المطابقة" و"الواقع"[2].

يرتبط الصدق بنظرية المعرفة، لأنه سمة أساسية فيها، فإذا كان هناك من يرى أن الصدق لا يقدم تعريفاً للمعرفة، فإن هناك على النقيض من يخبرنا بأن الصدق شرط

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 723.

(2) صلاح اسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص ص99، 100.

ضرورى للمعرفة، لأن هناك التزاماً بضرورته متأصلاً فى استعمالنا لمصطلح معرفة (وما يتصل به من مصطلحات). وبالمثل فى فكرتنا عن المعرفة، توجد ضرورة الصدق حيث ينظم استعمالنا لكلمة معرفة وما يتصل بها، حتى ولو لم نكن على دراية كاملة بذلك، فتحليل المفهوم يبرز للنور ما هو ضمنى قابع فى ممارساتنا الفعلية التى كثيراً ما تتسم بالعفوية التامة[1]. وعليها يكون الصدق داخل بالفعل فى بناء مفهوم المعرفة.

وخير من يمثل اتجاه ربط الصدق بمفهوم المعرفة هو صاحب الفلسفة المثالية المطلقة، الفيلسوف البريطانى "هربرت فرنسيس برادلى"(*) Bradly (1846–1924) الذى قام بربط الصدق بالمعرفة فى هوية واحدة، بهدف أن المعرفة ليست فكراً صادقاً فحسب، وإنما هى فكر تحقق فى واقع متناسب معه، فيقول "لا أدعى أن العقل يعمل مستقلاً بمفرده أو يتكلم وهو سجين فى غرفة منعزلة، بل النقيض تماماً أن للعقل وظيفة نوعية هى ضرورة التحقيق في الواقع وامتلاك حقوق معينة فيه، ومن ثم فأنا أصر على أننا إذا لم نأخذ هذا الفرض بجدية سيكون التأمل مستحيلا".

---

(1) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص 47.

(*) يمثل برادلى امتدادا للفلسفة المثالية المطلقة التى وطد دعائمها الفيلسوف الألمانى هيجل (1770–1831) وإن كان ثمة اختلاف بينهما فى الموضوع والنظرية، ولكن الاتفاق كان فى المنهج والهدف، حيث جمع برادلى بين أسلوبين هما: عمق المثالية بصفة عامة، ورجاحة الفكر الإنجليزى المعاصر فى كافة اتجاهاته الفلسفية.

انظر– محمد توفيق الضوى: نظرية الصدق عند برادلى، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص3.

بيد أن هناك جانباً عظيم الأهمية يعد بمثابة الركن الأساسى فى تحقيق الصدق وهو ضرورة أن يتحد الصدق بميعارين أساسيين هما الاتساق coherence والشمول comprehensiveness. وعلى هذا النحو يصير الصدق بياناً لما هو صادق وتوثيقا للسعي الدءوب من أجل تأكيد صحة ما نقرره حينما نعتمد على الفكر الصحيح[1].

ولكن ...

ما النظريات التي حاولت تفسير مفهوم الصدق فى الفكر الفلسفى؟

يشهد تاريخ الفكر الفلسفى أن هناك العديد من الرؤى التى تناولت مفهوم الصدق Truth بالتحليل والمناقشة، وعليها انقسمت نظريات الصدق إلى قسمين: نظريات الصدق التقليدية وهى التطابق والاتساق، والنظريات المعاصرة وهى كثيرة أهمها البراجماتية، وكذلك نظرية الإضافة غير الضرورية، ونظرية إمكانية التحقق عند الوضعية المنطقية، والسيمانطيقية أو الدلالية التي طورها الفريد تارسكي عن نظرية التطابق.

(1) المرجع السابق: ص 13.

نظرية التطابق

لقد انتشرت نظرية التطابق correspondence theory في الصدق بشكل واسع بين الباحثين المحدثين فى الفكر الفلسفى تحت تأثير فلسفة برتراندرسل- الذى يرى أن الصدق يحتوى في بعض صوره على فكرة التطابق بين الإعتقاد والواقعة Belief and fact. وكانت هذه النظرية لرسل تقف ضد نظرية المثاليين المطلقة والتي ترى أن الصدق يتضمن الاتساق[1].

ومؤدى هذه النظرية أن القضية الصادقة لابد أن تأتى متطابقة مع الوقائع الخارجية التى تتحدث عنها هذه القضية، ومعنى ذلك أن معيار الصدق هو تطابق الفكرة أو الاعتقاد مع وقائع العالم الفعلى. فلو قال قائل "الباب مفتوح" لكان صدقه يتوقف على الوجود الفعلى لهذا الباب الذى يتحدث عنه ويكون على حالة معينة، تلك التى نصفها بأنها تدل على أن الباب مفتوح وإذا لم تكن هناك هذه الواقعة كان القول كاذباً[2].

ومعنى ذلك، أن لصدق الخبر فى هذه النظرية شرطين: أحدهما مطابقته للواقع، والآخر مطابقته لاعتقاد المتكلم. فإذا كان الكلام مطابقاً للواقع، ولم يكن مطابقاً

(1) A. N. Prior: Correspondence Theory of Truth, in the Encyclopedia of Philosophy, Vol 11, PP.223, 224.

(2) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004، ص57.

لإعتقاد المتكلم، أو كان مطابقاً لإعتقاد المتكلم، ولم يكن مطابقاً للواقع، لم يكن تام الصدق[1].

والصدق التام إذن هو المطابقة للواقع والاعتقاد معاً، فإن انعدام واحد من هذين الشرطين لم يكن الصدق تاماً[2]. فالذى يحدد التطابق أو التناظر في هذه النظرية هى القضية التى تقول "إن عبارة ما تكون صادقة إذا كانت متناظرة مع الواقع فقط"[3].

ونستنتج من ذلك أن الحديث عن التطابق يتضمن طرفين (عبارة، واقعة) يدخل ضمن مراحل الشك Doubt. أى أن موقف الفيلسوف منها لا يؤكد وجودها لأنها لا تخضع للتأكيد والتحقيق الخارجي. حيث يبدو أن هناك الكثير من الأشياء التى يطلق عليها الناس اسم حقائق، ولكن من الممكن أن تكون مجرد مسلمات presupposition أو مصادرات postutates أو ادعاءات ليس لها من سبيل إلى نور الحقيقة[4].

ومن الأدلة المؤيدة لطرفى التطابق وهما (العبارة، الواقعة) أن تاريخ الفكر الفلسفى يشهد بأن كلمة التطابق قد استخدمت للدلالة على العلاقة بين الفكر والواقع، كما أنها تتضمن صدق الفكر، وهى تظهر بوضوح فى العصور الوسطى الأوربية عند "توما

---

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفى، الجزء الأول، مرجع سابق، ص723.

(2) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص52.

(4) محمد حسين الشامى: الحقيقة فى فكر وليم جيمس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق – فرع بنها، 2002م، ص ص 15،16.

الإكـوينى". الـذى اسـتخدمها مـرة واحـدة عـلى الأقـل فى كتـاب لـه يحمـل اسـم "التطابق "Correspondentia، ومن قبله استخدمها "اسحق الاسرائيلى" Isaac Israeli فى القـرن التاسـع، وكـان "اسـحق الاسرائـيلى" يهوديـاً مـن أتبـاع الافلاطونيـة المحدثة"[1].

ثم جاءت فى القرن العشرين على وجه الخصوص مناقشة مثمرة لنظرية التطابق فى سلسلة المحاضرات التي ألقاها "جورج إدوارد مور" فى عامى (1911– 1912) حيـث رأى مـور أن الصـدق والكـذب يبـدوان لأول وهلـة كصـفات للقضـايا propositions، ولا يستخدم مـور هنـا كلمـة القضـية ليشـير بهـا إلى معنـى الجملـة الإرشادية، ولكن ليعنى بها "المصادرة" axioma ثم عدل مور عنها، وعاد يتحدث عن الوقائع لا عن القضايا[2].

لذا تعد نظرية التطابق هذه من أقدم نظريات الصدق وأكثرها شهرة وأقربها إلى الموقف الطبيعى[3]. كما تقدمت هذه النظرية كثيراً فى الفلسفة المعاصرة على يد الفلاسفة التحليليـين أمثـال "رسـل" و"رامـزى" Ramsey و"فتجنشـتين" wittgenstein، وكـذلك عنـد "ألفريـد تارسكى" فى النظريـة السيمانطيقية Tarski`s Semantic Theory"[4].

---

(1) A. N. Prior :Correspondence Theory of Truth, op. cit, P. 224.

(2) Ibid: p.224.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص52.

(4) A. N. prior: Correspondence Theory of Truth, op. cit, ppp.226, 228,230

نظرية الاتساق

تعتبر نظرية الاتساق Coherence theory فى الصدق إحدى نظريات الصدق التقليدية، والتى تضم تحت لوائها نخبة عظيمة من فلاسفة المذهب العقلى المؤيدين للميتافيزيقا أمثال ليبنتز، اسبينوزا، هيجل، برادلى[1].

ومؤدى هذه النظرية أن القضية تكون صحيحة إذا ما جاءت متسقة مع الحقائق التى سبق أن سلمنا بها، والقضايا التى قبلناها من قبل وسلمنا بصحتها. فلو قلت عبارة غير متسقة مع ما سلمت به كانت كاذبة، وإذا جاءت متسقة مع هذا الرأى الذى قبلته وسلمت به كانت صادقة. وخير مثال لهذا النوع من الصدق هو ما نجده فى الرياضيات والمنطق. إلا أن الصدق هنا لا يعبر عن صدق واقعي بالضرورة، لأن كل ما يمكن أن يكون لدينا مجرد اتساق منطقى لا تربطة علاقة ضرورية بالواقع وبالعالم الموضوعى. ولذلك فإن هذا المعيار لا يقدم لنا شيئاً عن طبيعة الحقيقة أو القضية الصادقة[2].

ففي هندسة إقليدس مثلاً نجد نسقاً مستمداً بالاستنباط Deduction خطوة فخطوة من البديهيات Axioms والمصادرات postulates الأصلية، وما أن تؤخذ هذه البديهات والمسلمات presupposition علي أنها صحيحة حتي يلزم عنها بقية النسق system منطقياً وعلي نحو يكون محتوماً. ففى هذه الحالة ننتقل فى سلسلة لا تنقطع قوامها استدلالاً غاية فى الدقة، من البديهيات الأصلية إلي عبارة "وهو المطلوب

(1) Alan R. white: Coherence Theory of Truth, in, The Encyclopedia of philosophy , Vol, I, p.130.

(2) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص59.

إثباته"، التى يختم بها البرهان على النظرية الهندسية، وبالوصول إلي النتيجة تكون لدينا سلسلة تامة التكامل من التفكير المنطقى، تترابط بدورها مع نسق كامل من الاستدلال Inference[1].

فى مثل هذه الأنواع من التفكير الاستنباطى، يكون من الواضح أن الصدق والبطلان يتحددان تبعا لكون القضية المطلوب بحثها تنسجم مع النسق الذى يفترض أنها تكون جزءًا منه، وهنا يصبح الاتساق، أو الترابط هو المعيار الوحيد للصدق: فالعبارة لا تكون باطلة إلا إذا لم تتكامل مع مجموع معرفتنا أو اعتقادنا[2]. وهنا يتوقف الصدق على دعامتين الأولى: العلاقات الداخلية ومدى اتساقها مع بعضها البعض، والثانية: درجات الصدق. لذلك قبل برادلى الاتساق بوصفة معياراً للصدق، فيقرر فى كتابه" مقالات فى الصدق والحقيقة" أن المعيار الذى ينبغى أن يطبق هو المعيار الخاص بالنسق، فأعلن صراحة أن هذا المعيار يعمل على نحو مقنع ومرضى، ولا يوجد بديل له يعمل بالكفاءة نفسها، ويبين هذا فى قوله "إن المعيار الذى أدافع عنه هو الانساق"[3].

ولذلك كان لابد للترابط أو الاتساق أن يتضمن الآتى:

أ – ألا تكون إحدى قضايا النسقsystem كاذبة وباقى القضايا صادقة .

ب– أن يتحقق بين قضايا النسق الواحد لزوم منطقى .

---

(1) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة / فؤاد ذكريا – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الطبعة الثانية – القاهرة 1975م ، ص159.

(2) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(3) محمد توفيق الضوى: نظرية الصدق عند برادلى، مرجع سابق، ص 17 .

ج – ألا يكون في قضايا النسق قضايا منعزلة عن بعضها.

د– أنه لكى يصدر حكماً بالصدق أو بالكذب علي عبارات أو أحكام محددة، فإنه يجب أن يكون هذا الحكم متسقاً مع ما جاء به أنصار الوضعية المنطقية Logical positivism supporters، كما أنه يجب أن يكون مقبولاً لدى أصحاب الفلسفة المعاصرة The Scientists of the contemporary culture[1].

وعلي الجانب الآخر، يصر الميتافيزيقيون المؤيدون لنظرية الاتساق على أنه من الصعوبة أن نطلق على الحكم صفة الصدق إلا إذا كان يلائم حقيقة كونية أو حقيقة واقعية والتى تكون هى نفسها نسقاً جزئياً فى إطار النسق الكلى[2].

وفى حقيقة الأمر، أن نظرية الاتساق لم تحظَ بالقبول العريض الذى حظيت به نظرية التناظر أو التطابق، رغم أنها لم تعدم مؤيدين لها من الفلاسفة البازين[*]. ومجمل القول فيها " تكون العبارة صادقة إذا كانت متسقة مع جميع العبارات الصادقة"[1].

---

(1) Allan R. white: coherence Theory of Truth. op . cit, p. 130.
(2) Ibid: p. 130.

(*) الفلسفة تنقسم بشكل بارز إلى تيارين أساسيين متقابلين، فضلاً عن التجاوز والتلاقح بينهما، هما تيار المثالية الذى يرى أسبقية الفكر على الوجود، وتيار التجريبية الذى يرى أسبقية الوجود أو الوقائع على الفكر. ومعيار الاتساق أو الترابط فى تفسير طبيعة الصدق أكثر تمثيلاً للتيار المثالى، ومعيار التناظر أو التطابق أكثر تمثيلاً للتيار التجريبي، مع الاتساق لا يتوقف الصدق على شئ خارج الذهن، ولا يحتاج إلا لقوانين المنطق، لذا يمكن أن تمثل القضية الصادقة جزء من النظام المتكامل الذى هو الحقيقة بألف ولام العهد، إذ لا يبالى هذا المعيار بالواقع ومتغيراته لذا كان أقرب إلى التيار المثالي.

وخلاصة القول، يرى الباحث أنه إذا كانت نظرية التطابق أو التناظر تهتم بالوقائع، فإن نظرية الاتساق تهتم بلغة التجريد العقلى، ولكن إن كانت الأولى تعنى بالصدق الواقعى، فالثانية تهتم بالصدق الصورى الذى يشمل حقيقة النسق الفلسفى عن طريق المسلمات وتوافر الشروط المنطقية الصرفة وهذا ما أدى إلي ظهور نظريات أخرى.

النظرية الدلالية Semantic theory

لتحديد العبارة الصادقة يجب أن نتعرف على اسهامات الفيلسوف والمنطقى البولندي ألفرد تارسكى في أوائل الثلاثينات من هذا القرن فى تطور علم المنطق، ذلك عندما أسس المنهج السميانطيقي أو منهج دلالات الألفاظ اللغوية semantics لسد الفراغات التى أوجدها اتجاه "المابعد الرياضى" أو "الميتاماتيماتيك" لدى "هلبرت". وتعاون مع تارسكي كل من "أسكوليم " و "جودل" و " تشيرش ". وتناقش النظرية

أما معيار التناظر أو التطابق، فيجعل من الصدق تناظراً مع واقعه فى العالم التجريبي، لذا كان ضرورياً للإبستمولوجيا التجريبية، وهو أكثر المعايير فعالية، ويكاد يكون الإجابة الفلسفية الرسمية عن السؤال: ما هو الصدق؟ مادام يعطى تمثيلاً كافياً للمعرفة التجريبية وللحوار الدائم بين العقل والواقع.

انظر – د/ يمنى طريف الخولى: مراجعتها لكتاب وليم جيمس إيرل، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة/ عادل مصطفي، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2005م ، هامش ص ص 54 ، 55 .

(1) وليم جيمس إيرل : مدخل إلى الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ص 54 ، 55 .

العلاقة بين التعبيرات والألفاظ سواء أكانت كلمات أم جملاً وبين الأشياء والموضوعات التي تشير إليها، وتسمى بالفترة المعاصرة فى تطور المنطق الرمزى[1].

لقد وضع تارسكى نظريته بغية التغلب على المفارقات الدلالية semantic paradoxes التى يثيرها الكلام عن الصدق فى اللغات الطبيعية، وأبرز هذه المفارقات مفارقة الكذاب Liar paradox [2].

ولا يقدم تارسكى تعريفاً عاماً للصدق كما هو الحال فى النظريات الأخرى، وإنما يرى أن التعريف المقبول للصدق لابد من أن يستوفى شرطين: الأول أن يكون التعريف كافياً مادياً، والثاني أن يكون صحيحاً صورياً[3].

وحسبنا أن نقول بإيجاز إن تارسكى يعرف الصدق فى حدود العلاقة الدلالية "للاستيفاء" وهي علاقة بين دالة الجملة والأشياء غير اللغوية التى تستوفيها. وتبنى نظرية تارسكى مجموعة من الفلاسفة مثل كارل بوبر ودونالد ديفيدسون، وطبقها الأخير على اللغات الإنسانية[4].

---

(1) أ. هيبسون، د. ج. أوكونر: مقدمة فى المنطق الرمزى، ترجمة د / عبد الفتاح الديدى، دار المعارف، القاهرة، 1971 م، مقدمة الترجمة العربية ص13.

(2) صلاح اسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، مرجع سابق، ص124.

(3) المرجع السابق: ص125.

(4) المرجع السابق: نفس الصفحة.

النظرية البراجماتية

لقد قدم المبدأ البراجماتى اتجاهات جديدة تماماً للبحث الفلسفى، فهو يبعد بنا عن التأمل الميتافيزيقى، إذ يحدد صدق الاعتقاد بنتائجه العملية التجريبية[1]. ففى البحث الذى نشره تشارلز ساندرس بيرس عام (1878) بعنوان " كيف نجعل أفكارنا واضحة " فقد زاد هذه القاعدة توضيحاً فقال: "إننا لا نعرف على وجه التحقيق ما هى الكهرباء فى حد ذاتها، أى أن فكرتنا عن الكهرباء غامضة، ولكن هذا الغموض يزول إذا وجهنا نظرنا إلى ما تؤديه لنا الكهرباء أو إلى ما تحققه من أغراض عملية ...المهم أن معنى الكهرباء يتردد بالنظر إلى آثارها التى نلمسها في تجربتنا اليومية. والأمر على هذا النحو فيما يتعلق بمعظم الأفكار"[2].

ومن هنا فقد عرف "بيرس" الفكرة بأنها مجال الفعل plan of action.. وكان هذا التعريف الجديد للفكرة هو جوهر الانقلاب الذى أحدثته الفلسفة البراجماتية في الفكر المعاصر[3].

---

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص60.

(2) مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004م، ص188.

(3) فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولي، 1993م، ص99.

أما بالنسبة لوليم جيمس فقد بدأ نظريته فى الصدق بتعريفه لكلمة "الصدق" فيقول: "الصدق علاقة بين شيئين: فكرة، وواقع خارج على الفكرة. ولهذه العلاقة أساس هو الأساس التجريبى الحسى لا المطلق المجرد، ونعنى بذلك أنه يمكننا تعريف هذه العلاقة تعريفاً تجريبياً خالصاً ومن ثم وصفها وصفاً محدداً "[1]. كما يقول أيضاً أن "يعنى الصدق فى الأفكار مطابقتها للواقع ويعنى الخطأ فيها عدم مطابقتها له"[2].

وقد شارك "جون ديوى" زميله "بيرس" و "جيمس" في المبدأ العام للبراجماتية، وهو أن صحة الفكرة تقاس بمقدار ما يترتب عليها من فائدة وما الأفكار إلا مجرد "خطط للعمل". ولكن ما قد يميزه عنهما هو أنه ربط الحقيقة "بالبحث" إنه يقرر أن العلاقة بينهما هى علاقة " الحل " لـ "المشكلة " فما يؤدى إلى حل للمشكلة التى تطلبت البحث فهو "حقيقى"[3]. كما أن المنطق عند ديوي يمثل نظرية فى البحث, وهذه النظرية تكشف كيفية عمل الفكر ليس بالطريقة المجردة أو الصورية الشائعة فى المنطق القديم أو الحديث، وإنما عمل الفكر بطريقة أداتية فى بحوث العلم النافع وفى حل مشكلات الحياة اليومية. والأفكار القادرة على حل المشكلات العلمية والعادية هى أفكار صادقة.

---

(1) محمود فهمى زيدان: وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2005م، ص 56.

(2) المرجع السابق: ص56.

(3) محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984 م ، ص69.

وعليها فإن البراجماتيين فى ربطهم بين صدق الفكرة وبين النتائج التى تحققها فى حياة الإنسان العملية قد شد الأعناق وجذب الأنظار "مما كان" و "مما هو كائن" إلى "ما سوف يكون"، أى أنهم ركزوا على الصدق المستقبلى للفكرة واشترطوا أن يكون معيار الصدق هو النتائج التى تتحقق فى الواقع الملموس. فلم يعد القول أو الاعتقاد حقا فى ذاته- من وجهة نظرهم- بل أصبحت حقيقته مرهونة بما يحقق من منفعة عملية فى حياة الناس سواء كانت منفعة فى مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، بل فى أى مجال من مجالات الحياة[1].

وبناء على ذلك تقدم البراجماتية مقياساً لتقييم الأفكار والفصل بين كل من الحق والباطل، وهو مقدرة الفكرة على إنجاز أغراض الإنسان فى حياته العملية. فإن تضاربت هذه الأفكار مع بعضها كان الأحق والأصدق هو النافع، ولذلك تؤمن البراجماتية بالنجاح العملى بتحقيق النفع للمنقب عن الحقيقة"[2].

نظرية إمكانية التحقق عند الوضعية المنطقية

The Theory of verification in the logical Positivism

يمكن القول أن أول من صاغ "مبدأ إمكانية التحقق من المعنى"، بوضوح هو" وايزمان " فى كتابه "التحليل المنطقى لتصور الإمكانية" عام (1930) مفاده أن معنى

(1) مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص189.

(2) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص164.

القضية يكمن في منهج التحقق منها[1]. حيث يستخدم هذا المبدأ للتأكد من صدق أية جملة تقال عن العلم، ويعنى أن الجملة لكى تكون ذات معنى ينبغى أن تصف الواقع وتقبل إما التحقيق المباشر من صدقها بالتجربة والرجوع إلى شهادة الحواس، وإما التحقيق غير المباشر بإجراء عمليات الرد المنطقى عليها لتحويلها إلى جملة تقبل التحقيق المباشر[2]. وهو المبدأ نفسه الذى اشتهرت به المدرسة الوضعية المنطقية، حيث يقولون أيضاً أن معنى القضية يقوم في منهج التحقق منها، أو فى قول آخر ولكنه يعود إلى المعنى نفسه: "إن للجملة معنى في ظرف وظرف واحد، هو أن يكون من الممكن التحقق منها " ذلك أن الوضعيين الجدد يرون أننا لا نعرف معنى جملة ما إلا حينما نعرف إن كانت صادقة أو خاطئة، ومعني هذا أن طريقة التحقق من المعني ينبغى أن تتوافر فى الوقت نفسه مع المعنى والعكس بالعكس (أى أنه لا طريقة للتحقق من المعنى إلا مع الشئ). وهو يعنى على حسب تعبير " ليبنتر" الفيلسوف الألمانى فى "اللامتميزات" إن طريقة التحقق والمعنى هما واحد ونفس الشئ[3].

ولذلك فإن معيار إمكانية التحقق principle of verification في صورته الأصلية يشبه إلى حد بعيد المعيار البرجماتى للمعنى عند "بيرس" وكان هذا المبدأ فى

---

(1) ألفريد جولس آير: الفلسفة فى القرن العشرين، ترجمة ودراسة / بهاء درويش، مراجعة / إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، الإسكندرية، 2006، ص31.

(2) محمد فتحى عبدالله: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 2009 ، ص48.

(3) إ. م. بوشنسكى: الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، مرجع سابق، ص 99 .

التحقق يستهدف استبعاد العبارات التى لا يمكن أن نتصور منطقياً أن يكون هناك بشأنها "شاهد" يؤيدها أو يدحضها[1].

وعلي سبيل المثال – إذا رجعنا إلى القضية القائلة بأن "النفس خالدة" لم نجد صفة الخلود مما نستطيع التحقق منه فى التجربة الحسية، بل إننا لا نلتقى فى عالم الخبرة الحسية بكائن يسمى "النفس" ومن هنا ذهب المناطقة الوضعيون إلى أن الميتافيزيقا مجرد خرافة وأن قضاياها خالية من المعنى[2].

وعلى ذلك وضع " كارناب " تصوراً جديداً لمعيار التحقق من المعنى، يتلخص فى الآتى:

1- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد تأييداً تاماً، وهذا هو مبدأ التأييد التام .

2- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقق تحقيقاً تاماً، وهذا هو مبدأ التحقق التام.

3- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقق، وهذا هو مبدأ التحقق.

---

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 202.

(2) يحيى هويدى: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة، القاهرة، 2001م ، ص 90 .

4- كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد، وهذا هو مبدأ التأييد. وفى كل هذه الأحوال كما يرى "كارناب" يجب أن تكون الصفات متعلقة بما هو قابل للملاحظة[1].

وعلي أساس مبدأ التحقق – يضرب آير لذلك مثلاً فيقول: إن العبارة القائلة "هناك جبال فى الجانب الآخر من القمر" عبارة ذات معنى، على الرغم من أنه قد لا تكون تحت أيدينا في الوقت الحاضر السبل المواتية للتحقق من صحة أو كذب تلك القضية. والسبب فى ذلك أنه ليس ما يمنع من أن تكون هذه العبارة قابلة للتحقق مبدئياً، مادام فى وسعنا أن نتصور بناء سفينة فضاء تخترق الفراغ على مدى واسع وبالسرعة الكافية . أما إذا قلنا "أن الله موجود" بمعنى أن ثمة كائناً فائقاً للطبيعة هو الذى أوجد العالم وخلق الكائنات فإننا عندئذ إنما نتفوه بعبارة فارغة من كل معنى، لأننا نقرر قضية لا تحتمل الصدق أو الكذب، ولا تقبل التحقق على أى نحو ما من الأنحاء، ولهذا فإن قولنا بأن "الله موجود" لن يكون سوى لغو فارغ لا معنى له، وهكذا الحال بالنسبة إلى سائر العبارات الميتافيزيقية[2].

ومن ثم فإن الفلسفة عند آير لا يمكنها أن تتجاوز نطاق المحسوس ابتغاء معرفة واقع آخر يتجاوز نطاق العلم والإدراك الفطرى، وبالتالى فإن قضاياها كما يقول آير أقرب إلى قضايا الشعر العاطفية، وبذلك تقترب نظرتها من الأسطورة إلى حد كبير،

---

(1) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الثانى، مرجع سابق ، ص 252.

(2) زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1971م، ص ص 147، 148.

فما تقدمه لنا الميتافيزيقا فى نهاية المطاف لا يختلف كثيرا عما تقدمه الأساطير أو الأعمال الفنية، فهى تكتفى بالتعبير عن دائرة الإنفعالات أو العواطف، وإن حاولت ذلك من خلال صيغة عقلية[1].

والحق أن النزعة الوضعية فى نظرتها إلى علاقة الفلسفة بالعلم قد نظرت إلى هذه العلاقة من زاوية واحدة، وهى زاوية الانحياز الكامل للعلم على حساب الفلسفة، ومن ثم تشّكلت وتلونت نظرتها للفلسفة فى ضوء هذه الزاوية وحدها، ومن هنا انطوت نظرتها على تناقضات عديدة، فهى لم تستطع أن تتخلص كلية من تأثير النظرة الفلسفية على الرغم من هجومها عليها[2]. فقد وصل آير من خلال نقده للنظرة التقليدية للفلسفة إلى تحديد وظيفة محددة ينبغى أن تلتزم بها الفلسفة، ألا وهى وظيفة التحليل المنطقى للمفاهيم والرموز العلمية، ومن ثم فالفلسفة هى نشاط تحليلى فى المقام الأول[3].

ومن هنا أدى مبدأ إمكانية التحقق إلى فقدان التجريبيين المنطقيين شعبيتهم بين أقرانهم من الفلاسفة ، ذلك لأنه إذا قال لك خصمك فى الفلسفة بأن عباراتك باطلة لكان فى ذلك ما يثير أعصابك، أما إذا قال لك إنها عبارات لا معنى لها، وإنها فى حقيقتها لغو، لكان ذلك أسوأ من إثارة الأعصاب[4].

---

(1) محمد مجدى الجزيرى: الفلسفة بين الأسطورة والتكنولوجيا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2002، ص224.

(2) المرجع السابق: ص208.

(3) المرجع السابق: ص224.

(4) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص 244 .

نظرية الإضافة غير الضرورية

تعتبر نظرية الإضافة غير الضرورية أحدث النظريات التى تناولت مشكلة الصدق، وهى نظرية جديدة في مجال البحث، لم ترسخ أفكارها بعد كنظرية فى عالم الفلسفة، وتفيد باختصار: أن الكلمات والعبارات "صادق" و "كاذب" و "من الصدق أن ...." و "من الكذب أن...." التى توضع فى مقدمة العبارات، أو فى نهايتها هى صفات وتعبيرات إضافية لا ضرورة لها، حيث أنها لا تصف قضايا بقدر ما توجه الإنتباه إلى تأكيد ما تقول، أو التسليم به أو دفع الشك عنه.

ومن بين الرواد الذين أسهموا فى ظهور نظرية الإضافة غير الضرورية الفيلسوف الألمانى "جوتلوب فريجه" Gottlob frege (1848-1925) والفيلسوف الرياضى الإنجليزى المعاصر " فرانك رامزى" (1903-1930)، واشتهر بها الفيلسوف الأمريكى "ويلارد فان أورمان كواين" W. V. Quine (1908-2000)[1].

وتسمى نظرية الإضافة غير الضرورية بنظرية اللانظرية أحياناً، كما يطلق عليها نظرية الاختفاء(*) فى الصدق. وتسمى أيضاً بطريقة مضللة إلى حد ما نظرية نزع علامات

---

(1) صلاح اسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، مرجع سابق، ص101.

(*) يطلق اسم نظرية الإختفاء Disappearance theory أو التلاشي أو الزوال أو التوارى على أية نظرية توهم بأنها تقدم بياناً وصفياً وتفسيرياً لظاهرة ما، بينما هى تفضى فى حقيقة الأمر إلى أن هذه النظرية لا وجود لها .

التنصيص فى الصدق (**) بمعنى أن العبارة المحصورة بين فواصل التنصيص حين تأتى مشفوعة بكلمة صادقة هى مكافئة تماماً للعبارة الأصلية وحدها وبدون علامات تنصيص. مثال ذلك .

"إنها تمطر ثلجاً " صادقة

تكافئ

تمطر ثلجاً [1].

وعلى هذا الأساس الذى تم تقديمه تحاول كافة نظريات الصدق تقديم إجابات مقنعة لشتى الأسئلة المتعلقة بالمنطق ونظرية المعرفة وغيرها، كما استخدمت كلمة نظرية هنا بمعنى قريب من معناها فى العلوم الطبيعية، فالنظرية هى مجموعة فروض تجمعها روابط منطقية. والفرض صيغة، أو عبارة نظرية يسعى مع غيره من الفروض إلى تفسير ظاهرة طبيعية، أو مسألة من المسائل العقلية. وهذا يعنى أن المهمة الأساسية للنظرية بصفة عامة هى أن تكون أداة للتفسير، ومهمة أية نظرية فى الصدق هى تفسير مفهوم

(**) تعتبر نظرية "نزع علامات التنصيص" Disauootational view af Thth (أو نزع علامات الإقتباس أو الاستشهاد) صيغة من صيغ نظرية "الفائض اللفظي في الصدق" Redundansy Theory التى قال بها فريجة ورامزي . ومفادها أن عبارة "أنه من الصدق أن ق " ليست أكثر ولا أقل من ق وحدها . أو بتعبير آخر "إن ق صادقة "لا تزيد شيئاً على ق. ذلك أن المحمول صادقة لا مفاد له ولا يعبر عن مفهوم عميق أو تفسيرى يستحق أن نفرد له مبحثاً فلسفيا. أى أنه لا يعدو أن يكون فائضاً لفظياً. من هنا سميت النظرية " نظرية الفائض اللفظى" انظر – وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص ص50،51.

(1) المرجع السابق: ص ص50، 51.

الصدق تفسيرًا مقنعاً، وبيان علاقاته مع غيره من المفاهيم فى نظرية المعرفة[1]. وهنا يدور التساؤل ... إذا كان الفلاسفة قد نظروا إلى الصدق باعتباره شرطًا ضروريًا للمعرفة، ولم يحاول أحد منهم إثبات أن المعرفة ممكنة من غير الصدق، بمعنى أنه إذا كانت نظريات الصدق قد صيغت داخل حدود نظرية المعرفة، أو المنطق، أو فلسفة العلم كما تم عرضها، فكيف حلل سانتيانا مفهوم الصدق؟ وكيف خرج من خلال هذه النظريات الإبستمولوجية إلى إطارعالم الوجود، او نظرية الأنطولوجيا؟.

(1) صلاح اسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، مرجع سابق، ص89.

الفصل الثالث

سانتيانا والنظرية الواقعية فى الصدق

الفصل الثالث

سانتيانا والنظرية الواقعية في الصدق.

في البدء لابد أن أشير إلى أن نظرية سانتيانا في الصدق لم تنشأ من فراغ فكري، حيث جاءت نظريته مشوبة باتجاهه العام في فلسفته ألا وهو الاتجاه الطبيعي، والذي تطور فيما بعد علي يد سانتيانا ومجموعة من الفلاسفة المعاصرين وعرف باسم الواقعية النقدية(*) Critical Realism وعلى هذا الأساس الواقعي تنعت نظرية سانتيانا في الصدق بأنها نظرية واقعية، خرج بها سانتيانا من إطارها المألوف ألا وهو المنطق ونظرية المعرفة، ليصوغها في إطار الوجود أو الأنطولوجيا متأثرا في ذلك بالإتجاه الواقعي

(*) الواقعية النقدية Critical Realism اتجاه فلسفي معاصر، ظهر عام(1916) من سبعة فلاسفة انشقوا على المذهب الواقعى الجديد آنذاك، وكونوا مذهباً جديداً عرف باسم الواقعية النقدية، وقد انضم إليهم سانتيانا، وقاموا جميعاً بعمل واحد عبروا فيه عن أفكارهم تحت عنوان " مقالات فى الواقعية النقدية"Essays in Critical Realism . وقد كانت مشكلة الإدراك الحسي بدء تفكيرهم، إلا أنهم رفضوا موقف الواقعية الجديدة فى ضم العارف والمعروف فى نمط واحد، وعادوا إلى الثنا ئية التى يتميز فيها المدرِك من الشيء المدرَك، مع القول بأن الشيء المعروف هو وجوده الخارجى، وأن معرفتى به هى التى تؤدى إلى وجوده، ولكن وجوده مستقل عن هذه المعرفة كل الاستقلال، وهؤلاء الفلاسفة هم:

(1)– Durant Darke"Vassar", (2)- A. O. Lovejoy "John Hopkins", (3)- J. B. Pratt"Williams", (4)-A.K.Rogers"Yale", (5)-G. Santayana"Harvard" (6)- R. W.Sellars "Michigan" ,(7)- C. A. Stronge "Columbia"

انظر– نجاح محسن: مدخل إلى الفلسفة، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص218.

النقدي الذي انضم إليه مؤخرا، وذلك لا ينفي أن تكون نظرية سانتيانا في الصدق مشوبة بمثالية متعالية قوية، حيث استطاع فيها فيلسوفنا الجمع بين الواقعية والمثالية، ولذلك ينعت بأنه فيلسوف واقعي نقدي[1].

وعلى هذه الجدلية التي تم تقديمها تتبادر الإشكاليات إلى الذهن بغرض الوقوف على كنه نظرية سانتيانا الواقعية في الصدق، وتكون الإشكاليات المطروحة من قبيل:

ما الصدقtruth الذي يقصده سانتيانا في فلسفته؟ وما المنهج الذي اتبعه في تبرير نظريته؟ وكيف جاءت نظريته متضمنة ذلك المنهج؟ وكيف خالف بنظريته في الصدق النظريات التقليدية والنظريات المألوفة في الفكر الفلسفي والمنطقي؟ وهل كل ما في ذهن الإنسان من أفكار يقابله وجود حقيقي في العالم الخارجي؟

نبدأ بالتساؤل الأخير حتى نستطيع الوصول من خلاله إلي الإشكاليات الأخرى، فيرى سانتيانا أن الحالات التى تكون فيها الأفكار بغير مقابل خارجى لا شك فى قيامها، ولكن ليس فينا من لا يفرق بين هاتين الحالتين: حالة الفكرة التى يقابلها فى الخارج شئ عينى، وحالة الفكرة التى لا يقابلها شىء، ولولا "الإيمان الحيوانى" لما استطاع الإنسان أن يفرق بين هاتين الحالتين عندما تكون الفكرتان داخل الرأس على

(1) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 581.

حد سواء، وبفضل هذا الإيمان الحيوانى ترانا نفرق بين وجودين: وجود عينى يقابل الأفكار ذوات المسميات الخارجية، ووجود ذهنى لمدلولات الأفكار الأخرى التى نعرف أن ليس لها مسميات خارجية[1].

وبناءً على ما سبق ينتهى بنا التحليل إلى وجود عالمين: عالم الممكنات (وهو الذى أطلق عليه سانتيانا عالم الجوهر أو الماهيات) وعالم المادة التي تمكّن بعض تلك الممكنات من الظهور الفعلى، لكن هذا الانتقال نفسه من عالم الإمكان إلى عالم الواقع فى الطبيعة المادية، يخلق لنا عالماً ثالثاً هو ما يسميه سانتيانا عالم الصدق Realm af Truth. وهو ذلك الجزء من عالم الماهيات "عالم الممكنات" – الذى خرج إلى عالم الواقع الفعلى، ولذلك كان "عالم الصدق" – هذا عالماً عرضياً كالوجود نفسه[2].

ولتفسير ذلك، نجد أنه لم يكن هناك ضرورة عقلية تقتضى أن يخرج الصدق من عالم الممكنات هذا الجزء الذى خرج فعلاً دون سائر أجزاء الممكنات التى لم تخرج وظلت على حالها عالماً ممكناً، فالوجود كله عرضى، بمعنى أنه كان يجوز ألا يحدث وبالتالى يكون "الصدق" عرضياً – بمعنى أن ما قد تحقق فى عالم الواقع قد كان يجوز ألا يتحقق وأن يتحقق سواه من بقية الممكنات التى لم تقع، ولذلك فقد أخطأ الفلاسفة المثاليون جميعاً كما يرى سانتيانا حين ظنوا أن ثمة مبادئ عقلية قبلية ضرورية شاملة،

---

(1) د/ زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، مرجع سابق، ص ص 155، 156.

(2) زكي نجيب محمود: حياة الفكر فى العالم الجديد، مرجع سابق، ص 211.

صدقها محقق ويقينها ثابت، أخطئوا إذا ظنوا ذلك لأن الوجود كله بما فيه من عقول وما يترتب عليها من مبادئ الرياضة والمنطق – قد جاء عرضاً وقد كان يمكن ألا يجئ[1].

ولكن... ما الذي يعنيه الصدق في فلسفة سانتيانا الواقعية؟

يرى سانتيانا أن القارئ الفاحص لن يجد أي صعوبة في فهم المعنى المستخدم في كتاباته لتعريف كلمة الصدق، حيث إنه المعنى الذي تحمله الكلمة في المحادثات العادية، فهذه العبارات التي يقوم باقتراحها لا يمكن وصفها في رأيه أنها تصف المعنى الواضح لهذه الكلمة، ولكن استخدامها فقط يكون من أجل توضيح كلمة الصدق وتأكيدها في هذا الموضوع، حيث إن استخدامه لكلمة الصدق هنا كما يقول يختلف عن هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم خبراء في علم المنطق[2].

إن المعنى المحتمل للصدق عند سانتيانا هو عبارة عن مجموعة من القضايا الصادقة، أو العلم بالأشياء التى من شأنها التأكيد، كما أنه النظام المثالي الكامل للصفات والعلاقات التي يقوم رجل العلم بإثباتها أو محاولة إثباتها مستقبلاً[3]. حيث إن كلمة الصدق تعنى كل الأشياء التى يمكن رؤيتها تحت مسمى الخلود أو السرمدية eternity فكل رجل مفكر دائماً يفترض حقيقة الصدق الفعلى أو الصدق الواقعى، أو يفترض

---

(1) المرجع السابق: ص 211.

(2) G. Santayana: Realms of Being , one volume Edition, With A New Introduction By the Author, Charles Scribner's sons, New York, 1942., p.401.

(3) Ibid: p.402.

الصدق الذي لم يتم اكتشافه بشكل كبير، وهى الحالة التى يدعى فيها المفكر أنه ينقل جزء منها[1].

لقد أكد سانتيانا أن الصدق لانهائيDateless وأبدى Eternal، ولكنه ليس سرمدياً Timeless، لأنه عرضة للتغير حيث يتناول الوجود المتغير. فالصدق هو التاريخ المجمد Frozen history فإذا كان أفلاطون قد قال إن الزمن هو الصورة المتغيرة للخلود، فإننا نستطيع القول إن الخلود هو الصورة المركبة للزمن، ولكن الصدق أكثر من ذلك، لأنه بالإضافة إلى أنه يصف الأشياء فى علاقاتها الزمنية فهو يحتوى على كل شيء، حيث يحتوى على عالم الماهيات مضافاً إليه عالم الصدق[2].وهذا ما أكده " جوزيف بلاو" Joseph L.Blau حيث رأى أن الصدق فى عوالم سانتيانا هو الجزء العملى فى عالم الماهية حيث تتكون منه هذه الماهيات، ويكون بالفعل فى الوجود. وهو ما أسماه سانتيانا باسم عالم الصدق[3].

لقد رأى سانتيانا أن الصدق ليس مجرد رأى، حتى إن كان هذا الرأى صحيحاً، لأنه بجانب التقييد في مجال الآراء الإنسانية لا يمكن الهروب منه، على الأقل حتى أن كانت معظم الآراء دقيقة وكاملة، بل ربما تعطى الأسبقية لبعض الحدود وتمتلك الاتجاه

(1) Ibid: p.402.
(2) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op .cit, P. 271.
(3) Joseph L. Blau: Men and Movements in American Philosophy, op. cit, P. 332.

الوصفى فيها، وأن هذا الاتجاه المسحى قد يتغير أو يتبدل دون الوقوع في الخطأ، لذلك يعد الصدق هو الحقل الذي نأتى من خلاله بالآراء الصادقة للاتجاهات المختلفة، وليس لمجرد الرأى ذاته[1]. وذلك لأن الرأي لا يستطيع الوصول بسهولة إلى أهدافه بغض النظر عما إذا كان هذا الرأى معبرا عن حقيقة أو مجرد إفتراض، أو لكونه مؤكداً للموضوع الذى تم اختياره، فإن هذا الرأى لا يمكن اعتباره خطأ، لأنه لا يمكن أن يكون رأياً عن أى شيء[2]. كما أن هذه الآراء تكون صحيحة أو خاطئة إذا تم تكرارها، أو عندما تكون فى اتجاه مضاد للصدق الذى يعبر عن الحقائق التى يحتويها، من هنا فالصدق عبارة عن الحقائق التى تقدم وصفاً معيارياً مفهوماً لتلك الآراء[3].

أما الحقيقة كما يراها الفيلسوف محل الدراسة هى بالطبع الفكرة التى يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة، وذلك عندما تكون الفكرة لا تعنى تعريفاً ما عن صحة معلومة، ولكن عندما تكون الفكرة معبرة عن رأى ما، وكذلك معبرة عن العلاقة المجردة بين الفكرة وعنصر الصحة في أى رأى يمكن أن يكون صحيحا، وعلى أساس ذلك يمكن اعتبار هذا الرأى صحيحا ويمكن تحديده بسهولة. وعلى ذلك يمكن القول بأن هذا الرأى يمكن أن يكون صادقًا إذا كان ما يتحدث عنه يكون عنصرا من أحد العناصر المكونة لهذا الرأى. أى أن الحقيقة ليست مسألة تشابه أو اختلاف بين الحقيقة

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op .cit, P. 268.
See also, G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p. 403.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p. 402.
(3) Ibid: p. 403.

السلبية والموضوع غير المعلوم، ولكنها شكل من أشكال الهوية أو الذاتيةIdentity بين الواقع المؤثر والحقيقة الموجودة وجودا فعليا[1].

وتأكيدا لما سبق يرى سانتيانا أنه عند استخدام الصدق كمعنى للحس المجرد الصحيح أو ككيفية تحتوى على الأحكام الصحيحة بشكل تام، فإن الكلمة الأخرى التى تعنى الواقع أو الحقيقة يمكن استخدامها لهذا الوصف المعيارى لذلك الموضوع الذى تنطبق عليه هذه الأحكام الصائبة، ولكن الواقع ليس وصفا لذاته بالنسبة لكلمة واقعيةReality إذا فهم معناها بأنها تعبر عن الوجود، فهى أيضا لا يمكن الإشارة إليها بأنها عبارة عن وصف للوجود، ولكنها فقط عبارة عن ماهية له، فالوقائعFacts دائما تكون عابرة أى قصيرة المدى، وعندما تتلاشى هذه الوقائع فإن الذي يتبقى منها هو الماهية[2]. من هنا فإنه يوجد اختلاف واضح بين الصدق وأى حدث آخر، حيث أن الحدث يعد فى حد ذاته حدثا له تاريخ، وليس تاريخ حدوث الموضوع حتى إن كان هذا الموضوع كائنا أو موجود وجودا فعليا، أو حتى لكونه معاصرا، أو مرتبطا بالموجودات الإنسانية المطلعة بشكل كبير على الأحداث التى وقعت في الماضى. ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن الصدق ليس له تاريخ، فالصدق هنا يكون متطابقًا مع ما يحدث فى

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.402.

(2) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op .cit, P. 267.
See also, G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.403.

الواقع، سواء كانت هذه الآراء التى تقدم عن الصدق تظهر قبل أو بعد وقوع الحدث الذي يتم وصفه من خلال الحقيقة[1].

إن أبدية الصدق عند سانتيانا تكمن فى شمولها جميع الحقائق، ولكن هذه الحقائق ليست متشابهة السرمدية. حيث إن الأشخاص المغرمين الذين يستخدمون عقولهم في التفكير عادة ما يعرفون الصدق على أساس من معتقداتهم الخاصة، أى أن الحقائق الأبدية هى عبارة عن معتقداتtents كان من المفترض أن تخص الأسلاف القدماء لبنى الإنسان، والتى يرفض هؤلاء الأسلاف التحلى بها[2].

بالطبع لا توجد معتقدات سرمدية كما يقول سانتيانا كما لا يمكن أن نعطى وجهات النظر الإنسانية الموجودة صفة الأبدية، حيث إن الأبدية هى صفة للماهية فقط، حتى ولو كانت جميع الأرواح التى فى السماء والأرض لها صفات مشتركة وجماعية فى أى عنصر من عناصر المذهب[3].

يرى سانتيانا أنه إذا لم يوجد هناك صدق مطلق وأبدى وشامل لكل الأحداث الواقعية، فإن وجهات النظر المأخوذة من وقت لآخر عن طريق الأفراد ربما تكون ذات طبيعة مطلقة، وربما تكون أيضا وجهات النظر هذه ليست لها صلة متصلة ببعضها البعض، ولا يوجد بينهما وجه للمقارنة من منطلق الصدق، وذلك لكون هذه الآراء

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op .cit, P. 268.
(2) Ibid: p.268.
(3) Ibid: p.269.

بدون أى هدف أو موضوع تظهر من خلاله الماهية. ولهذا السبب فإننى أعطى اسما متميزا لهذه الشريحة المهمة من عالم الماهية واسميها عالم الصدق[1].

إن الصدق موجود بالتأكيد، وذلك إذا لم يكن هذا الوجود عبارة عن وسيلة أو صفة لهذا العالم الأبدى الذي يكون مملوءً بالمثاليات، ولكن الصدق يكون كريها وبغيضا بالنسبة للوجود الفيزيقى والعقلى، علاوة على ذلك ربما يتم مطابقة الصدق مع العقل عديم التأثير بشكل واضح، دون أن يكون لهذا العقل أى قدرة على الفعل اللهم إلا أنه يمتلك كل الصدق الموجود دون أن يكون له وجهة نظر فيه أو أى دفء حيوانى أو أن تكون له أى عملية إنتقالية، فالعقل والصدق عبارة عن تعبيرات لديها خلفيات استعارية ودلالات مختلفة، ولكن إذا لم يتواجد العقل فإن الصدق يستعير بعض المطابقات أو التماثلات حيث أن كل من العقل والصدق يستدعى ذلك المعيار المثالى الذى ينسبه العقل البشرى إليه، وأن هذه الوظيفة عبارة عن ماهيتهم المؤثرة حيث تؤكد ثباتهم السرمدى، كما أن هذه الخاصية تمنحهم بالتأكيد الواقعية الحقيقية والظاهرة[2].

يؤكد سانتيانا أن العادة tradition تمدنا بكثير من الحقائق والأحكام الضرورية، مما يجعل هذه الحقائق ثوابت لا تتغير مثل الحقيقة الرياضية 2+2=4 وأن الزمان والمكان ينقسمان إلى مالانهاية، وهذا يعنى أن لكل شيء سبباً وأن الله تعالى هو

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.404.

(2) G. Santayana: Reason in Common Sense, vol I, in: the Life of Reason, Archibal constable, London, 1905, p.27.

الحقيقة الوجودية لكل الكائنات، فهو موجود بالضرورة. كما أن العديد من هذه القضايا ربما تكون ضرورية، ويمكننا أن نتثبت من صدقها عن طريق ما تقدمه من تعريفاتdefinitions لهذه الحدود، والذى يؤكد صدقها أيضا هو وقائع الطبيعة أى حقائقها، كما أن بعض هذه القضايا لابد أن تمتلك صدقا ماديا وضرورة منطقية، فالضرورة إذن هى أن صدق كل قضية ينبثق من قضية أخرى. لذلك فإن هذه النتيجة ربما تكون واضحة لأى إنسان يدرك أن طبيعة الوجود الأبدية أو ما يسميه سانتيانا بعالم الماهية، أنه مفهوم يسير فى حد ذاته، بل هو مفهوم حتمى إذا ما ركزنا اهتمامنا عليه[1]. أما الصدق فهو عبارة عن صورة وصفية للوجود، فإذا كان الوجود حتمياًcontingent كان الصدق حتمياً أيضاً[2].

أما العالم الذى أجد نفسى فيه عالم غير عقلانى لا يمكن وصفه بالجنون، حيث إنه يحتفظ بالحركة فى طرق ثابتة ومستمرة بشكل أساسى، ولهذا السبب فإن الخبرة تتراكم وتعمل من خلال نطاقها المؤثر، فبالمقارنة به على الرغم من أن إصابتى بالجنون قد تكون محتملة، فعلى سبيل المثال لو أن الإنسان أصر على إيجاد سبب لهذا الوجود، وبدا هذا الوجود ثابتا لأصبت بدوامة جنونية في رأسى، وذلك لوجود حياة داخلية مرتكزة تعمل بداخلى، بالإضافة إلى اتصالى العضوى المألوف بالأشياء المادية.

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.407.
(2) Ibid: p.408.

إن الحياة الإنسانية مليئة بالصور الباقية على قيد الحياة، فقد تكون هذه الصور مصحوبة بتوقعات صحيحة أو خاطئة، بالإضافة إلى هذه التخيلات التى لا جدال فيها، وحتى أن أفكار الموضوعات المادية التى تعد غير ضرورية من الممكن أن تكون مهمة، مثلها فى ذلك مثل الرواية التى قد تكون مهمة ومثيرة، وذلك لكونها تثير بشكل درامي نفس العواطف التى تثيرها أحداث الحياة النشطة. ولكن إذا كانت هذه المثيرات أى الأفكار الشيقة الممتعة تتداخل مع أفعالنا أو بدت عبارة عن إدراكات، فإننا حينئذ نخدع ونحلم ونتحرك إلى الأمام حيث بيت الجنون[1].

أما المسألة الحسابية 2+2=4 مثلها فى ذلك مثل أى عملية حسابية أخرى، فهى عبارة عن معادلة تعمل على إيجاد علاقات ظاهرية معينة بين مصطلحات معينة، وأن جميع هذه العلاقات الحسابية تكون ذات أهمية عندما تعتمد على التعريفات أو الحدوسات التى تميز بين المصطلحات بعضها ببعض، والتى بدورها لا تكون ضرورية أو حتى ممكنة لعملية الاكتشاف أو العمل على إظهار العلاقات الضرورية للمصطلحات التى تم اختيارها فى الجوانب البشرية[2].

أنه على الرغم من كون الصدق فى حد ذاته المجال الوحيد للماهية، حيث إنه ينشأ عن حقيقة حتمية ومؤكدة، إلا أنه يكون محددا كما تكون الماهية محددة به، حيث

(1) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 505.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.408.

يعمل الصدق فى حد ذاته على تأسيس انسجامات معينة تسيطر على عالم الفكر الذى برز بصورة أساسية من خلال الأحداث[1]. لذا كانت إمكانية اكتشاف الصدق، أو جزء من أجزائه غالباً ما تكون مشوبة بالصدق نفسه، كما لو كان الصدق يشبه الخطأ. فالنوعية الأخلاقية للفكرة أو الحكم عندما تنجح أو تخفق فى تقرير الواقع تعطى اهتماماً بهذه اللحظة المعنية، ولكن تكون الفكرة أو الحكم صائباً إذا كانت التقريرات صادقة وتكون كاذبة إذا كانت التقريرات متناقضة[2].

ومن دواعى سوء فهم الصدق أن نخلطه بالأحداث المادية events Material أو أن نخلطه بآرائنا الشخصية عن الأشياء، فالأحداث لا توصف بالصدق أو الكذب، بل أن القضايا هى التى يمكن وصفها بهذه الصفات، فالصدق عند سانتيانا ليس له مدلول مادى يدور حوله أو يشير إليه، والأحكام التي نصفها بالصدق أو الكذب هى قضايا واقعية لا نستطيع وصفها بهذه الصفات إلا فى إطار نسق صحيح من التمثلات Representations[3].

وعلى ذلك فإن الخبرة أو الفكرة يمكنهما أن يتضمنا الصدق، ولا نقول عنهم – الصدق والخبرة والفكر شىء واحد، بل إننا إذا لم نميز بينهم تمييزاً صحيحاً ما أمكننا وصف الوجود ذاته، فعلى سبيل المثال إذا قلنا إن ديفيد هيوم ولد عام(1711) فإن هذه

(1) Ibid: p.446.
(2) Ibid: pp.446.447.
(1) Guy w. Stroh: American philosophy from Edwards to Dewey, An introduction, van Nostrand Reinhold company, New York, 1968, p.228.

القضية عن هيوم لا تصبح صادقة لأن هناك شخصاً ما فكر فيها، بل إن عملية الفكر هنا ساعدت على تحقيق مزيد من الصدق للقضية التى ذكرناها عن هيوم[1].

ولكن يعترض سانتيانا هنا على اعتبار الصدق مجرد فكرةidea حيث يراه مجرد حدث له تاريخ، كما أن مفهوم الفكرة من خلال السياق الذي قدمه فيلسوفنا مفهوما غامضا ومبهماambiguous حيث إنها تعنى الماهية أو قد تكون هدفاtheme أو شيئا داخليا فى الشعور أو الفكر، وقد تعنى أيضا الشعور والفكر مجردين، أو تلك اللحظة الحدسية الحية التى نستطيع عندها تمييز الماهية، وأخيرا قد تعنى الفكرة شعورا أو فكرا ينشأ عن قيمة ترنسندنتالية ذاتية للاعتقاد أو الحكم، ويؤكد الحكم على الماهية المعطاة لكى نطبق صدقها على موضوعات أخرى آتية[2].

وبهذا المعنى الأخير فقد تعنى الفكرة عند سانتيانا مجرد الرأىopinion الذى يخضع للحكم عليه بالصدق أو الكذب، ولكن قد تكون الفكرة مجرد شعور برئ أو فكر لا يؤكد على شيء أو ينفيه، ولا يخضع للصدق أو الكذب، إنها حدس خالص لإحدى الماهيات. فإذا كانت الفكرة مفيدة فهى مفيدة ونافعة، ولكن لا تكون فكرة صادقة، وإذا كانت هذه الفكرة جميلة ومريحة، فليست لهذا السبب تكون صادقة أيضاً، ولكن لكونها فكرة مريحة وجميلة. وإذا كانت الفكرة عبارة عن تصور أو ربما قد تكون منسجمة مع

(1) Ibid: p.228.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.447.

فكرة أخرى، فإن الفكرتين تكونان متناسقتين، وربما التصوران معا قد يكونان على خطأ كبير من أن يكون كل تصور بصورة منفصلة خاطئ على حده[1].

وهذا ما أكد عليه برتراندرسل فى فلسفة سانتيانا، حيث رأى أن عالم الصدق عند الفيلسوف محل الدراسة يتضمن عالمى المادة والماهية، كما أنه يتضمن الماهيات التى يحتويها العالم الفعلى، فقد يكون الصدق عرضياً منذ أن يصف الوجود، ولذلك كان مرتبطاً بالوجود. وأن وجهه النظر التى ترى أن الصدق يكمن فى الاتساق هى وجهة نظر مرفوضة وغير صائبة لأنها منطوية على عجز حتى الآن فالصدق ولا شك يخبرنا بشئ عن العالم المحيط بنا[2].

ومن أبرز نقاط الضعف فى نظرية الاتساق التى رفضها سانتيانا أنه لو لم يكن لدينا هذا الشرط المقيد وهو أن تتفق نتائجنا مع الواقع الموضوعى على نحو قابل للاثبات لغدا من الممكن عندئذ تشييد أروع وأعقد البناءات الفكرية على مقدمات لا يزكيها شىء سوى كونها تتفق مع مصالحنا الأنانية، أو كونها تتفق مع تطلعنا إلى نظرة إلى العالم تعطينا ثقة وأملاً[3].

---

(1) Ibid: p.448.

(2) Bertrand Russell: Philosophy of Santayana, in the philosophy of George Santayana,Edited by, P. A. Schilpp, Tudor publishing Company, New York, 1651, p.460.

(3) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص162.

أما الخطر الأساسى فى (نظرية الانساق) هو أن الذهن غير النقدى قد يعجب بالبناء فى صورته النهائية ونتائجه إلى حد يؤدي به إلى إغفال ملاحظة الأسس التى شيد عليها البناء بأكمله وكثيراً ما يحدث عندما يقوم مفكر تحليلى بكشف هذه الأسس، وأن يتغير موقف الذهن الذى كان قبل ذلك يقبل النسق بأكمله فيتحول إلى رفض الكل، لأنه لم يعد يقبل المقدمات الأصلية، ولكن الأكثر من ذلك حدوثاً أن ينقب هذا الذهن حوله محاولاً وضع أسساً خاصة به تتألف من مقدمات مقبولة أكثر من الأولى، ثم ينقل البناء الفكرى بأكمله سليماً فوق الأساس الجديد[1].

وهنا يؤكد سانتيانا على إصراره فى رفض نظرية الاتساق وشتى الأنظمة المثالية الطابع، وإن كانت واقعية سانتيانا كما أشرت فى بداية الفصل مشوبة بنوع ما من الفكر المثالي، فإن ذلك لا يمنعه من دحض الأفكار المثالية بوصفه فيلسوفا طبيعيا أو واقعيا نقديا فى أواخر فلسفته، فقد رأى فيلسوفنا أن الأنظمة المثالية مازالت تطور وتدرس شروط المعرفة الأولية وآخر اهتمامات الحياة، أما الأنظمة المادية فمازالت تؤكد على هذه التحجرات concretions فى الوجود، لهذا كانت القيمة الروحية لهؤلاء الفلاسفة المختلفين تكمن بشكل أصلى على نوع الخير الذى يربط العقل بهذه العادةhabit كما يربطه بمستوى الفكرة[2]. فالفيلسوف الطبيعى على هذا الأساس يرحب بفكرة النقد

(1) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(2) G. Santayana: Reason in Common Sense, op. cit, p.185.

وذلك لكون تراكيبه على الرغم من كونها ليست أقل إفتراضية أو تأملية، عن ذلك الفيلسوف المثالى، ولكن لكون تركيباته وبنائه عبارة عن بناءات شرعية وقانونية، كما أنها عبارة عن حقائق واضحة وصريحة[1].

وبالنسبة للصدق فهو عبارة عن فكرة واضحة وصريحة، كما أنه عبارة عن افتراضات مؤكدة verified hypothesis وحتميةinevitable وأيضا عبارة عن استنتاج مؤكد. فإذا كان الفيلسوف المثالى يخشى ويستنكر أى نظرية لمصدره ووظيفته الخاصة، فإنه عندئذ فقط يدين لغريزة التحفظ الذاتى، وذلك لأنه يعرف تماما أن ماضيه لا يقبل الاختبار، لذا فهو يعد الوارث لكل خرافة[2].

يقول سانتيانا إنه إذا كان المذهب المثالى راسخا فى كل بناء جاء للعقل الإنسانى، فإن المذهب التجريبى يمثل كل هذه الطاقات وذلك الكون الخارجى. أو كما يقول اسبينوزا عنه يجب أن يتعدى المذهب التجريبى طاقات الإنسان بشكل لا نهائى، فإذا كان التأمل meditation يغذى العلم، فإن الحكمة تأتى من خلال التحرر من الوهم disillusion حتى فى موضوع العلم ذاته، فإن الانقياد أو الانصياع docility نحو الوقائع هى التى تصنع عقلانية العلم[3].

(1) Ibid: p.201.
(2) Ibid: p.201.
(3) Ibid: p.202.

وإذا كان سانتيانا يقول بأهمية الإشارة إلى الصدق على أنه جزء من عالم الماهية، ينشأ عنها، وذلك لكى نتجنب ما اعتبره من أخطاء البراجماتية والنزعة المثالية (نظرية الانساق أو الترابط) معاً. حيث جعلت البراجماتية الصدق جزء من وظائف الخبرة، مما أدى إلى الخلط بين الخبرة والصدق، أو بين الخبرة وعالم الروح، وهذا ما نفيناه فى الفقرات السابقة، فالخبرة والروح كلاهما يتغير وعليه فإن البراجماتية تؤكد على أن الصدق ذاته صدق ديناميكى Dynamic ومتغيرChanging[1].

كما يرى سانتيانا فى موقف البراجماتية من الصدق تناقضا أيضاً، طالما أن الحوادث هى التى يصدق عليها التغير وليس صدقها، فإذا تغير الصدق الذى توصف به الحوادث، فإنه ستصبح بالتالى بعض أنواع الصدق كاذبة، وهذا محال[2]. وكذلك بالمثل فإن النزعة المثالية التى تجعل من الصدق حقيقة ذهنية فطرية، ومكان وجوده العقل، وأن باستطاعة العقل إدراك الصدق إدراكاً فطرياً، فإنه يبدو أن النزعة المثالية تخلط بين الفكر أو عالم الروح the Realm of Spirit وبين الصدق. وهنا يعلن المثاليون علي أن وجود الصدق وجوداً منطقياً يتطلب العقل الذى يدركه، لأن الصدق الذى لا يمكن للعقل إدراكه ليس صدقاً على الإطلاق. ونخطئ عندما نتناول الصدق كشىء موجود نبحث عنه فللصدق وجود كلى Being طالما أنه ماهية معقدة a complex

(1) Guy W. Stroh: American philosophy from Edwards to Deweys, op.cit, pp.228, 229.
(2) Ibid: P. 229.

essence أو مجموعة من العلاقات وليس له وجود فعلى Existence، فالصدق يصف فقط هذا الوجود الكلى وليس جزءاً منه[1].

وبناء علي ما تقدم يرى سانتيانا – أن استاذه "جوزايا رويس" وسائر المثاليين قد أخطئوا عندما ذكروا أن هناك أنواعاً من الصدق الضروري ضرورة منطقية، فالمنطق يمدنا فقط بمعلومات عن مضامين أحاديثنا ورموز أفكارنا وليس عن قيمة صدق أفكارنا. فلا توجد حقيقة لها ضرورة منطقية، طالما أن الضرورة وظيفة من وظائف الكلام أو هى الطريقة التى نحدد بها الرموز لنشير إلى هذه الأفكار، وفضلاً عن ذلك فلا توجد قضية صادقة عن طريق تعريفها فقط، طالما أن حرية تعريف الحدود Define Terms تعود إلينا، فالصدق إنما يشير إلى ما يحدث فى وقت محدد[2].

من خلال ما سبق فإن طبيعة الصدق عند سانتيانا هى ببساطة التطابق correspondence مع ما هو كائن، أما البراجماتية فهى تعنى اختبار الصدق أكثر من كونها تطابقاً مع الواقع، وباختصار تكون طبيعة الصدق هى التطابق بينما اختبار الصدق هى البراجماتية[3].

---

(1) Ibid: p. 229.
(2) Ibid: p. 229.
(3) Stanford Encyclopedia of Philosophy, at. http://plato.stanford.edu/entries/santayana (02/06/2008).

الفصل الرابع

الصدق المنطقى

الفصل الرابع
الصدق المنطقى

المنطق هو العلم الذى يبحث في صحيح الفكر وفساده، وهو الذى يضع القوانين التى تعصم الذهن من الوقوع فى الخطأ فى الأحكام، فموضوعه هو الفكر الإنسانى من ناحية خاصة، وهى ناحية صحته وفساده، ويتم له ذلك عن طريق البحث فى القوانين الفعلية التى يتبعها العقل الإنسانى فى تفكيره، فما كان من التفكير موافقاً لهذه القوانين كان صحيحاً، وما كان مخالفاً لها كان فاسداً[1]. ولذلك كانت غاية المنطق هى توجيه الفكر للوصول إلى الحقيقة، فهو إذاً يحلل أنواع التفكير وأساليبه، ويبين وظيفة كل نوع وصلته بالأنواع الأخرى كما ينقد الفكر الخاطئ ويظهر مواطن الضعف فيه[2]. معتمدا فى ذلك على منهجه وهو التحليل النقدى القائم على التفكير[3].

وعلى هذا الأساس لابد أن نتساءل....

إذا كان للمنطق كل هذه الأهمية فى توجيه الفكر للوصول إلى الحقيقة، فما هو المنطق الذى يدعو إليه سانتيانا فى فلسفته، وما هو مفهوم الصدق المنطقى؟

---

(1) على عبد المعطى محمد، السيد نفادى: المنطق وفلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص 20 .

(2) جميل صليبا: المنطق، مؤسسة عويدات، بيروت، د. ت، ص 10.

(3) بول موى: المنطق وفلسفة العلوم، مرجع سابق، ص27.

يرى سانتيانا أن المنطق هو المنطق، كما أن أنظمة العلاقة التى تم اكتشافها بين عناصر الماهية لا تشكل الصدق ولكن تشكل أنواعاً أخرى من الماهيات التى تحوى فى داخلها الماهيات المرتبطة بعضها ببعض، وتكون جزءًا من الماهية الرئيسية. وتصبح هذه الأنظمة مثل الحدود المنطقية عبارة عن وسيلة للتعبير عن الصدق، وذلك إذا تم اكتشافها وجعلها تقف وجها لوجه مع تفكيرنا الاستنباطى our deductive reasoning والصدق حينئذ سيقوم بترويض المنطق الخاص بنا فى العالم[1]. ولكن إذا كان المنطق يرفض أن يقوم بهذه التضحية الأولية بذاته ليلقى بنفسه نحو الدافع والصدق أو الحقيقة، فإنه يصبح عندئذ وبسرعة غير عقلانى كما يفقد تبريراته الخاصة، وذلك لكونه يتواجد من خلال فضيلة الدوافع الإنسانية[2].

إذا كان العالم كما يقول الفيلسوف محل الدراسة يعيش فى حالة من الفوضى، فإن الصدق فى هذه الحالة قد يتخلى عن وجود العقل أو يجعل العقل موجودا فى أقل مستوياته، ولكن مع كل هذا توجد عقلانية جزئيةpartial rationality أو تعهد عقلانى فى الأشياء التى ساعدت العقل فى توضيح أفكاره وتطوير منطقه[3]. فالمنطق هو طفل الواقع عند سانتيانا، كما أن الروح هى الطفل الذي يولد من النفس، فالمنطق هو الطفل العنيد الذي ينكر أن يكون اللبن الحلو المذاق قد تغذى وتربى عليه فى الصغر، إنه لا يبقى فقط فى الماضى، بل يحدد بصورة أساسية اختبار الماهيات التى ترتبط فى علاقة ما

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.419.
(2) G. Santayana: Reason in Common Sense, op. cit, p.199.
(3) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.419.

بالمنطق، ولكنه يبقى بشكل معاصر فى هذه الحالة، حيث أن الأفكار عند علماء المنطق يتم التحكم فيها عبر الحوادث الفيزيقية والضغوط الاجتماعية[1].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المنطق عند سانتيانا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالصدق، ولكن هذا الصدق الذى يشير إليه سانتيانا هو مطابقة الواقع الفعلى، وعليه يكون المنطق هو المنطق الواقعى الذى يعتمد على العقل، والصدق هو التطابق مع هذا الواقع، فهو يقول إن المنطق عند ارتباطه بعنصر الواقع، فإنه ينجح فى أن يلعب دورا أخلاقياً هاماً، وذلك على اتجاهين: حيث يضفى المنطق على العالم صفات إنسانية، تلك الصفات التى نفكر ونستخدم فيها العقل، حيث يحيى التأملات الأبعد وصولاً فيها وموحداً بينها وبين الحياة الواقعية. ومن ناحية أخرى فإن المنطق يتقفى ويتحسس آثار أشعة الصدق، أعنى بذلك أنه عندما يكون أحد الحدود المعروفة فى مجال المنطق يصف الواقع، فإن النظام المنطقى بأكمله يتصل بهذا الحد، وبالتالى يصبح جزءً من الصدق[2].

يرى سانتيانا أن مصطلحات المنطق نفسها ترتبط بلمحات من الحقائق أو الوقائع، حيث نعمق من هذا الإدراك الإنسانى والأخلاقى عندما نطور بصورة مثالية الأنواع التى يرتديها العنصر الواقعى فى حد ذاتها أو عندما يقيم علاقة بين القدرات والاهتمامات الإنسانية مثل الشاعر الذي يتعمق فى إحساسه بالجمال، فإذا كانت إحدى

(1) Ibid: p. 220.
(2) Ibid: p. 222.

الجماليات موجودة فى عقله فإنه يتذكر الأخرى منها، كما أنه يجد صوراً بلاغية وكلمات موسيقية معبرة عن موقفه[1].

لقد أكد سانتيانا أن المنطق يتضمن صدقاً طبيعياً فيما تناوله من نظريات فى بداية نشأته، وعلى وجه الخصوص فى مجال القياس، فقد ساعدت الدراسات التى تقدمت فى مجال الموضوعات المادية على تكوين صور ذهنية دقيقة فى العقل الإنساني، فالأفكار ليست صادقة لأنها واضحة، بل علي العكس فهى واضحة لأنها صادقة، وهذا ما شجع الصدق على الخوض فى الموضوعات الديالكتيكية[2]. وهنا يجب القول أن ما هو ضرورى منطقياً ليس بالضرورة صادقاً، حيث يكون الصدق فى هذه الحالة محتملاً ويكون عبارة عن قضية ضرورية، لأن الحقائق من خلال التعريف تصنع صحة الصدق وكل الوقائع، ومن خلال التعريف تكون هذه الحقائق محتملة، لكن لا توجد ضرورة فى هذا الاختبار أو فى تطبيق هذه التصنيفات كعنصر ضرورى أو جعله صدقاً أو واقعاً، وهذه التصنيفات لا تمتلك بالضرورة الصحة فى كونها تعبر عن الواقع. وسانتيانا ينظر لذلك كأمر واقعى حيث تمثل هذه التصنيفات الصدق أو على الأقل معبرة عن الصدق بدرجة كافية، فهذه الأنواع تشتمل على فكر إنسانى بطريقة عادية مما يجعل الواقعية Reality تبدو بشكل تام عبارة عن تصديق[3].

---

(1) Ibid: p. 422.
(2) Ibid: P. 443.
(3) Ibid: p. 224.

وقد كتب فيلسوفنا تحت عنوان " مذهب المطلق المتعالى"، يقول " إنه إذا كانت الرياضيات والمنطق وكل قوانين العلوم أهم من قواعد الشطرنج من وجهة نظر الطبيعة، فإنها لا تختلف إختلافاً أساسياً عن قواعد الشطرنج. فالمادة أو العقل قد يلتزم بهذه القوانين، وقد يستمر في التزامها. لكن سريانها محدود. وهى لا تكون ذات أهمية أساسية إلا فيما يتعلق بنفسها في عالم الماهية، أما فى الطبيعة فهى سائدة على أساس الوقائع فحسب، وهذا أقصى ما يمكن أن يقال فى شأنها"[1].

وعندما كان الصدق مرتبطاً بالواقع – فإنه لا توجد حقائق منطقية بحته ولهذا فإن الرياضيات وهى تتناول فقط العلاقات بين الماهيات، فهي ملزمة شكلاً Formally Cogent ولكنها ليست حقيقية، فحين تطبق الرياضيات على عوالم الوجود فإنها تدرج ضمن الحقائق[2]. حيث يقوم علماء الرياضيات بتطوير معنى بعض الأفكار المعطاة لديهم، وكذلك يبحث عالم النفس فى أصل هذه الأفكار كما يصف علاقة هذه الأفكار بباقى الخبرات والتجارب الإنسانية، والنبى يطور من نشوته، وكذلك اللاهوتى يطور من نبوءته والتى لا تمنع المؤرخ فيما بعد من أن يصل ويظهر بعد ذلك أصل هذه الفكرة.

---

(1) جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالى، بحث منشور فى كتاب "فلسفة القرن العشرين"، إعداد / راجوبرت د. رونز، ترجمة / عثمان نويه، مراجعة/ زكى نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص 93 .

(2) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 582.

إن الاختلاف بين المنطق والصدق عند سانتيانا يعد اختلافاً احتمالياً، فيقول سانتيانا بصدد ذلك أننى ليس لدى الرغبة فى الدخول فى معارك مع الجنس البشرى لاستخدام الكلمات التى يختارونها فى الحديث عن الصدق، وأيضا فى المواقف والحالات التى يكون فيها فقط انسجاماً واتساقاً. فيوجد الكثير من الصدق حتى فى إحساسى عنه، كما أنه يكون صدقاً ممكناً إذا ما ارتبطت الفكرة التى تصف الأفكار الموجودة بالفعل فى العقل الإنسانى وليس فقط عن طريق الصدق النفسى والتاريخى الذى يصف الأفكار، ولكن يكون الصدق الصورى formal truth فى وصف الفكرة المقبولة فى حدود تختلف عن تلك الحدود التى ارتبطت بها الفكرة فى البداية، ونعنى بهذا أنها تغيراً فى التعبير الذى يقدم تحليلاً لهذه الفكرة، ويسهم فى استخراج الماهيات الأساسية فيها[1]. فالرياضيات والمنطق ونوع معين من علم النفس ربما يصنع علم الظواهر المنطقيةPhenomenological Science بمعنى وصفا مخلصا لعدة مجالات للماهية التى تم بالفعل اختيارهم فيها، كما يجب أن ندع لهذا أن يحدث على الأقل، وذلك على أساس عنصرية اللغة الإنجليزية، فعلى الرغم من كونها لغة صحيحة موثوق بها فهى مع ذلك تدعى الصحة والحقيقة[2].

وإذا كان هيجل قد استطاع تحليل معاني الأفكار باستخدام الجدل مما يساعد علي بقاء قوة الأقيسة المنطقية كما هى سواء أكانت أقيسة منطقية خالصة أم أقيسة تجريبية

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.426.
(2) Ibid: p.422.

مستمدة من البيئة المحيطة بنا. فإن سانتيانا أيضاً قد استطاع تحليل قواعد اللغة وربطها بالمنطق، حيث رأى أن المنطق هو الشكل النهائي الراقي لقواعد اللغة، فإذا استطاع الفكر تأسيس قاعدة نحوية ينتج عنها تقسيم الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة، وعنها ينتج أيضاً قاعدة أخرى فى صفات الأسماء، أى الصفات التى نمنحها للأسماء والصفات جنباً إلى جنب، كل زوجين معاً مثلما نرى فى المدارس المختلفة الإناث مع الإناث، والذكور مع الذكور، وكل اثنين معاً، فإذا استطاع الفكر القيام بذلك فإن قواعد النحو لا تحتاج إلى مثل هذه المماثلة الجنسية[1].

وعلى هذه الجدلية فإن سانتيانا لا يستبعد المنطق الترنسندنتالى من نزعته المادية، ولكن يعترف به عندما يأخذ مكانه فى التفكير ويكون فى درجة ثابتة مع النزعة المادية مثلما يكون منسجما وعلى اتساق مع الاتجاه المادى، وكذلك يعترف سانتيانا بسيطرة القواعد النحوية على اللغة، وذلك عندما تطور اللغة الجزئية النحو الجزئى، ولهذا يكون المنطق مترابطا مع الاتجاه المادى، كما تعمل اللغة كوسيلة اتصال، فعلى الرغم من أن اللغة يتم تطويرها بشكل عضوى، فإنها مع ذلك لا يمكنها أن تفرض قاعدتها النحوية على الأشياء أو على اللغات الأخرى، إن المنطق الترنسندنتالى يساعد بشكل متشابه على النطق ببعض المدركات الخاصة والتى ترتبط بالمجال الذاتى أو المجال الشعرى[2]. فإذا كان للمنطق أى شرعية أو لكونه خصص لغرض معين لعلاقة الحقائق البعيدة المدى،

(1) Ibid: p. 239.
(2) G. Santayana : Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 506.

فإنه علاوة على ذلك يبقى سؤالا مطروحاً. حيث إن كل تطور عقلى للمنطق يتسم بالأهمية الهادية، منذ كونه لا يستطيع تقديم دلالة واضحة لأساسه الهادى. كما أن الأصول الداخلية أو التكوينية للمنطق المتعالى تشبه إلى حد كبير الشعر والدين، حيث يفرض نفسه بشكل حر وبدون قيود فى العراء، أعنى بذلك أن المنطق الترنسندنتالى له مكانة فى عالم الماهية، حتى هذا الدافع الحيوى الذى يدعم على استقراره ويجعل الرياح الروحية تبدأ فى الهبوب من مكان آخر[1].

إن التأكيدات المنطقية أو الصورية عند سانتيانا لديها الصحة والشرعية فى اتساقها وانسجامها وليس فى توافقها مع قوة الملاحظة أو الواقع. ومن هنا فإن العلاقات الرياضية أو الصورية يمكن أن تتواجد بدون أن يكون هناك أحداث يمكن إدراكها أو ملاحظتها، فالعلوم الصورية أو الديالكتيكية كما يسميها سانتيانا أحياناً تختص فقط باتساق الأفكار المجردة، فعلى سبيل المثال: إذا كانت كل أ هى ب، وكانت كل ب هى ج ، فإن الناتج من الناحية المنطقية هو أن كل أ هى جـ، وعلي ذلك فإن النوع الوحيد من الصدق هو الذى يكون فى النتائج الصورية أو الجدلية التى تكون فى الاتساق أو الترابط الأبدى[2].

(1) Ibid: P. 506.

(2) Guy W. Stroh: American philosophy from Edwards to Deweys, op.cit, p.202.

ومن خلال ما سبق، نستطيع أن نستنتج حقيقة مهمة وهى أن سانتيانا يؤكد على أن الصدق مرتبط بوجود العقل Min ، فلولا وجود العقل ما كان هناك خطأ أو صواب، كما أنه لن يكون هناك صدق أو كذب فيما عدا القضايا والأحكام التى لها صلة وثيقة ببعض الحقائق المحددة، لأن الصدق غالباً يستخدم بهذا المعنى المجرد، وهو ما نطلق عليه لفظ الصحة Correctness كما أنه الصفة التى توصف بها كل الأحكام الصحيحة بوجه عام[1].

يشير سانتيانا إلى حقيقة مهمة فى عالم الصدق وهى أنه حتى ولو كانت الأفكار الرياضية أقل فى صدقها الواقعى للعالم، ولكن امتلاك هذه الأفكار ربما يكون عبارة عن دليل غير مباشر حيث إنها عبارة عن قيمة إدراكيةcognitive value كما تكون فى بعض الأحيان صادقة، فإذا أردنا أن نقول بأن هذه الأفكار خاطئة، فإننا يجب أن نقدم أفكارًا أخرى أكثر واقعية وأكثر صدقاً. ولكن ما هى الأفكار التى تكون أكثر واقعية من هذه الطبائع الرياضية، ونستطيع أن نعرضها فى حيز الفعل وديناميكية العالم؟[2].

أنه إذا اقترنت الواقعية Reality بالكينونة الروحية، فإن الرياضيات تصبح لسوء الحظ عديمة القيمة، كما أن دراستها تصبح جزءً من الماضى، بل ربما تكون خطيئة، فإذا انغمس رجل روحانى مثل باسكال Pascal فى العلوم الرياضية فإنه سوف يشعر بالندم والعذاب الذاتى، حيث أن الإيمان الذي يتأسس على علم المنطق هو إيمان غير

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal faith. op . cit , pp . 266,267.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.437.

مدرك كما يكتنفه الجنون[1]. ولذلك يتعلق الصدق أو الكذب بالأمور الفعلية للواقع – فيقال عن مقدمات الحجة أو نتيجتها إنها صادقة إذا جاءت مطابقة للواقع الفعلى، أما إذا جاءت غير متفقة مع هذا الواقع فإنها تكن كاذبة . فما يحدث في الواقع إذن هو محك الحكم بالصدق أو بالكذب[2].

إن النزعة الداخلية للمنطق عند سانتيانا ربما تكون غير متصلة بموضوع الصدق، وذلك لأن المنطق يحمل فى طياته صدقاً طبيعياً خاصة فيما تناوله من نظريات فى بداية نشأته، وفى خطوطه الرئيسية لنظرية الاستنباط deduction وفى العديد من عناصر تطوره. فقد ساعدت الدراسات التى تقدمت فى مجال الموضوعات المادية على تكوين صور ذهنية دقيقة فى العقل الإنسانى، فالأفكار ليست صادقة لأنها واضحة، بل على العكس هى واضحة لأنها صادقة، وهذا يشجع الصدق باستمرار فى أن يخوض عالم المنطق فى تتبع الموضوعات الديالكتيكية[3]. وعلى الرغم من كون الصدق فى حد ذاته المجال الوحيد للماهية حيث ينشأ من حقيقة حتمية ومؤكدة، إلا أنه يكون محددا كما تكون الماهية محددة به، حيث يعمل الصدق فى حد ذاته على تأسيس انسجامات معينة تسيطر على عالم الفكر الذى برز بصورة أساسية من خلال الاحداث[4].

---

(1) Ibid: p. 237.

(2) محمد مهران رشوان: أسس التفكير المنطقى، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006، ص47.

(3) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.437.

(4) Ibid: p.446.

وهنا يقول "شارلزهارتشون"charles Hartshorne أحد الباحثين فى فلسفة سانيتانا: إن سانتيانا ذكر الصدق كنوع من التقرير، أى أن الصدق لا يحتاج إلى دليل، ومع ذلك فإن رأى سانتيانا فى الصدق يأتى بمعنى أن "ما سوف يحدث" سيحدثWhat will happen will happen وأن هناك شيئاً ما، وهذا الشىء محدد ويجب أن يكون صادقاً فيما يختص بقضايا المستقبل مما يستوجب معه تطبيق قانون الوسط المرفوع أو الممتنع (*)The law of Excluded Middle وأن كل قضية حتى وإن كانت تختص بالمستقبل لها قيمة صدق محددة. ولا يعنى هذا أن المستقبل يجب أن يكون ثابتاً لا يتغير(1).

(*) هو مبدأ الوسط المرفوع أو قانون الثالث المرفوع Excluded middle ويقرر أن أية قضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة ولا ثالث بينهما – أى : (ق ٧~ ق).

انظر– صلاح محمود عثمان: المنطق متعدد القيم بين درجات الصدق وحدود المعرفة، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 2002 م ، ص 18.

(1) Charles Hartshorne: Doctrine of Essence in: the philosophy of George Santayana, Edited by, P. A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1951, p. 176.

الفصل الخامس

الصدق السيكولوجى

الفصل الخامس

الصدق السيكولوجي

لقد ظل علم النفس فرعاً من الفلسفة العقلية التأملية أكثر من مائتى عام بعد وفاة الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" – حيث أن موضوعه قد تحدد، ولكن طريقته فى البحث لم تزل تعتمد على طريقة الفلسفة فى البحث أى النظر والتأمل والبرهان والجدل فى قضايا ذات طابع فلسفى صريح ما برحت لاصقة بعلم النفس منذ القدم، مثل "ما الطبيعة القصوى للعقل"، "هل العالم الخارجى عالم واقعى أم من خلق الخيال Imagination"، "هل للإنسان إرادة حرة؟" وقد كان الخلاف على هذه القضايا كبيراً بين الباحثين، لأن النظر والتأمل دون سند من الطرق العلمية للملاحظة والتجريب يؤدى حتماً إلي الخلاف"[1].

إلا أن سانتيانا يرى أن الفلسفة الحديثة بدون شك فى ذلك، قد قامت بالنقد السيكولوجى لكل من العلم والحس المشترك، وذلك على أساس المفاهيم السيكولوجية، وتوصلت من نقدها إلى أن كل من الحقائق المفترضة ليست سوى أفكار كوّنها العقل البشرى وفقا لمبادئه، ولا وجود لها أبعد من العقل[2]. إلا أن هذا النقد السيكولوجى – كما يقول سانتيانا لا يمكن أن يستمر على الدوام إلى نفى وجود العقل

---

(1) د/ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1999، ص43.

(2) G. Santayana: Three proofs of Realism, in: Essays in Critical Realism edited by. Critical Realism Philosophers, Macmillan and Co. Limited, London, 1920, p. 173.

البشرى ذاته، وما ينتج عنه من أفكار متعاقبة، وكذلك الطرق أو العادات التى يتبعها فى التفسير، فإنكار العقل يعد انتحاراً، لأن المعرفة إنما تدور داخل إطار العالم السيكولوجى [1].

ومن الأدلة التى تؤكد ذلك أن سانتيانا يعلى دائماً من شأن العقل ووظيفته فى الحياة، وعلاوة على ذلك يرى فيلسوفنا أن الروح الإنسانية قد تكتنفها الوساوس الحيوانيةanimal obsessions من جميع الجهات، إلا أن العقل البشرى يستطيع من خلالها أن يقوم بعمليات الاسترجاعRetain والمقارنة وتحليل انطباعتها الحسية، تاركاً صيرورة الوجود تنطلق بأقصى سرعتها لتحقيق ما تصبو إليه من غايات[2]. كما أنه لا يوجد أساس لانكار العلاقة بين العقل والفن، ومع ذلك فالعقل يعد أفضل من المادة matter ، وهذا الحكم نهائى لأن العقل فقط هو القادر على الحكم، ولذلك كانت صفة الانتباه بالنسبة للمادة صفة اختيارية، وذلك لأن وظيفة المادة تغذية العقل[3]. ووظيفة العقل هى السيطرة على التجربة، فالعقل بمثابة انفتاح واضح وجلى نحو الانطباعات الجديدة التى لا تقل أهمية عن هذه الغاية من كونه معبرا عن امتلاك المبادئ التى من خلالها يتم تفسير الانطباعات الجديدة[4]. فليس هناك شيئاً يكون أكثر طبيعية أو أكثر ملائمة مع كل هذه المتشابهات التجريبية من كون الحيوانات تشعر وتفكر[5].

---

(3) Ibid: P. 173
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.440.
(3) Ibid: p. 441.
(4) G. Santayana: Reason in Common Sense, op. cit, p.204.
(5) Ibid: p. 205.

والواقع يشير إلى أن دراسات علماء النفس تقوم على أساس موضوعى سواء أكانت هذه الدراسات حسية أم تصورية، فإنه فى كلتا الحالتين يتصل بمجالات جمالية أو أخلاقية مختلفة، ولا يقوم فيها الإيمان الحيوانى بدور الوسيط ولا يمكن أن ينقل بنفسه معرفة الصدق. ومع ذلك فإن الحدس الذى هو إدراك بسيط لواقعية الأشياء يأتى من الماهيات وليس من الأشياء، لأنه يلاحظ ما يقع بالفعل فقط ويدخل فى دائرة انتباه الإنسان[1]. حيث يعمل الحدس على كبح جماح ذلك الإيمان الحيوانى الذى يتضمن فى ذاته الخوف أو الدافع الفيزيقى، فعندما يتم توضيح المعلومات والبيانات وتأخذ شكل الواقعية ويكون تحقيقها فعلياً فإن المعلومات فى هذه الحالة تمثل الماهيات[2].

بناء على ما تقدم يرى سانتيانا أن الحدس المثير ينبع من العواطف والانفعالات، أى أنه يأتى عن طريق الحدث. والإنسان ربما يكون على دراية ووعى بانفعالاته وعواطفه، لذلك فهو يثار بشكل عجيب، ويتأثر بكل شيء. ولكن هذه العواطف ذاتها عبارة عن قوة آلية طبيعية تركت بدون رابط فى داخله حتى أصبحت أعمق من إدراكه لها، فإذا حاول الإنسان أن يضع عواطفه أو انفعالاته فى كلمات محددة أو إدراك طبيعتها الملائمة، فإنه فى هذه الحالة ينساق نحو روايات درامية فى معنى أبعد ما يكون عن الانفعالات الفعلية، كما ينساق إلى نوع من الأساطير أو ينساق إلى المنطق من خلال عبارة مجازية منطقية، حيث يرسم ويحدد بصورة خيالية حركة هذه السيطرة الأسطورية

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, pp. 437, 438.
(2) Ibid: p.438.

التى تعوقه وتسبب له الكثير من المشكلات، فإن الصدق هنا كما يقول سانتيانا هو الذى يوجه انفعالاته وعواطفه، كما أنه القادر على إدراك هذه السيطرة الأسطورية[1].

ولذلك يرى سانتيانا أن هناك الكثير من الصدق حتى فى إحساسنا عنه، فمن الممكن التوقع بأن الأفكار ليست فقط نفسية أو تاريخية الصدق، لأن وصف هذه الأفكار قد يكون نشأ فعلاً فى العقل البشرى، ولكن الصدق الصورى فى وصف فكرة مقبولة يختلف عن تلك التى كانت قد صيغت فى أول صدفة فى التعبير، والتى يمكن أن تستخدم لتحليل الفكرة وإبراز أوجه التشابه الأساسية[2]. فقد أخبرنا بعض علماء النفس – أنه على الرغم من أن نسق الحوادث الديناميكى ليس نسقاً رياضياً حقيقياً، فإنه ينبغى العمل علي تنمية التصورات الرياضية لأنها مفيدة فى مجال الفنون العملية، ولكن التساؤل هنا كما يقول سانتيانا – كيف يمكن أن تكون هذه التصورات الحسابية مفيدة فى حين تكتنفها التصورات الخاطئة فى بعض جوانبها؟ وكيف تكون التصورات خاطئة فى حين أنها تصف النظام المؤثر فى الطبيعة التى تتحكم فى وجودنا وصحتنا وقوتنا الكلامية والتثقيفية بشكل أساسى؟[3].

---

(1) Ibid: p. 467.
(2) Ibid: p. 426.
(3) Ibid: P. 442.

يـرى سـانتيانا أنـه إذا اكتسـبت نظريـات الحسـاب والهندسـة ميـزة القـدرة عـلى تنميـة التصورات، فإنها تثبت دقتها وهيمنتها على العقل والخبرة، لأنها فى تجريداتها تصبح هى المقياس المؤكد لقياس الأشياء المادية[1].

ولذلك يقوم الخيال بدور هام في مجال إثبات الصدق – حيث به نعقد المقارنات Comparisons ونتصـور بـه البـدائل Alternatives. ونأسـف لأنهـا لم تتحقـق فى الواقع، وتصبح مصدر إلهام. حيث يملك الخيال القدرة على إدانة العالم كله بالفساد ووصفه بالكذب والخداع. وعلى النقيض منه يقوم الصدق بنشر ضوئه الساطع وإقرار مـا يجـب أن يكـون، فكـل الأخطـاء والأوهـام Illusions والمغالطـات المرضـية، والأساطير الشعرية الموجودة داخل العقل الإنسانى تأتينا فى غياب الماهية[2].

ولقـد قـام سـانتيانا بالتفرقـة بـين علـم الـنفس التقليـدى (الأدبـى) Literary psychology وعلم النفس العلمى. وهى فى الحقيقة تفرقة عميقة بين ما هو ديناميكى وما هو ظاهر، فمن الواضح أن فيلسوف الظواهر لا يرى مثل هذا التمييز لأنه لا يوجد شئ بالنسبة إليه إلا ما هو موجود على السطح فى الظاهر، وكذلك يرجع إلى عدم الربط بـين الأحـداث التـى يمكـن أن تكـون عرضـية إلا عـن طريـق الصـدفة[3]. غـير أن تمييـز سانتيانا يتضـمن مبادئ أخرى من وجهة نظره، حيث يؤكد فيلسوفنا على أن الأحداث الذهنية لها أساس فيزيقى تستند إليه، ومع ذلك فإن البيولوجيا (علم الحياة) وعلم نفس

(1) Ibid: P. 442.
(2) Ibid: P. 442.
(3) G. Santayana: Apologia pro Menta sua. op .cit, P. 524.

السلوك كليهما لا يستطيع أن يكتشف بطريقة مباشرة خاصية الشعور أو حتى وجوده[1]. أما علم النفس الأدبى فهو عبارة عن أسلوب للحديث عن هذه العمليات التى لا يمكن أن ندركها أو نفهمها فى تكوينها بالمرة، ولكن يمكن أن نفهمها جيدا من خلال معناها- أعنى من خلال ارتباطهم أو علاقاتهم الأخلاقية بعضهم ببعض، ولذلك فإن فهم وإدراك الصلة القوية بين الدافع a motive والحدث action ليس عبارة عن علم النفس الأدبى، ولكنه عبارة عن المعرفة السلوكية لهذه الطبيعة البشرية[2].

لقد نظر سانتيانا إلى الفلسفة التقليدية وعلم النفس الأدبى على أساس أنهما عبارة عن فوضى للعلم الجدلى فى علاقته بالعلم الطبيعى. حيث إن العلم الطبيعى يستخدم العلاقات الجدلية بشكل صحيح كمعنى لهذه النهاية، ولكن لا يمكن أن تكون كبديل للعلاقة الصورية للصدق المادى. فما الذى يحدث إذا تم وضع وقائع الطبيعة وحقائق العلم كمعنى ووسيلة لنهاية العلم الجدلى؟ ما الذى يحدث عندما تحاول الفلسفة وعلم النفس أن تؤسس ماديات الواقع أو الوجود من خلال علاقة الفكر المجرد أو الجدل المنطقى بدون أن تستخدم الملاحظة أو دلائل التجربة العلمية؟

إن النتيجة المتوقعة عند سانتيانا هى الحصول على علم زائف أو ميتافيزيقا أو الحصول على علم النفس الأدبى[3].

---

(1) Ibid: p .524.

(2) Ibid: P.505.

(3) Guy W. Stroh: American philosophy from Edwards to Deweys, op.cit, pp.202.203.

كما قام سانتيانا بنقد النظرية المثالية المتعالية، وذلك لنبذها النظرية الواقعية فى مجال الخبرة الإنسانية – والتى يوليها أهمية كبرى،أو حتى فى التاريخ الكلى، مما يجعل وجود الحقائق هو نفس الوجود السائد فى المثالية التجريبية Empirical Idealism ، والتى تنتسب إليها المعرفة الجوهرية، حيث تعبر هذه الحقائق عن مبادئ إنسانية بذاتها تخضع للمنفعة أو عن الدوافع المنطقية والأهداف الأخلاقية وسائر الموضوعات ذات الصلة بالعالم غير الواقعى [1].

وينتهي سانتيانا فى نظريته الواقعية عن الصدق السيكولوجى إلى أن الصدق يصبح وسيلة من وسائل النجاح فى واحدة من أهم مجالات الحياة ، ألا وهو التكيف المتسم بالذكاءIntelligent مع ظروف الحياة المختلفة المحيطة بالإنسان، وهذا التكيف هو تكيف حقيقى وعلامته القدرة على التنبؤ، وعلى التمسك بالخيال العلمى الصحيح، وعلى إظهار العواطف ذات الصلة الوثيقة بالحقائق، بل وأبعد من ذلك حيث يصبح وعى الإنسان أكثر من مجرد إحساس، أو ألم حاد يعتريه لذلك وجب على الإنسان أن يتطلع دائماً إلى امتلاك الصدق[2].

(1) G. Santayana: Three proofs of Realism, op.cit, P .125.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, P .446.

الفصل السادس

الصدق والزمن

الفصل السادس

الصدق والزمن

إذا كانت مشكلة الصدق هى مشكلة الفلسفة، فإنها على ذلك ليست مشكلة تاريخية مجردة، ولكنها مشكلة الزمن الراهن التى يثار حولها الجدل، ولذلك فهى مسألة غير منتهية النزاع[1]. حيث إن الزمن إحدى المشكلات الرئيسية التى يحاول الفكر الفلسفى أن يجد لها حلاً. حيث ارتبط الزمن دائماً بالوجود، فنحن لا نفكر فى أحدهما دون أن نفكر فى الآخر، فالوجود منذ فجر الفكر الفلسفي مرادف للحضور. والحضور يكون فى أفق الحاضر ويتكلم بصوته، والحاضر فى التصور الشائع يعد من الأبعاد الثلاثة التى تلازم تصورنا للزمن الذى يسير على طريق لا رجوع فيه من ماض إلى حاضر إلى مستقبل. والماضى فى تصورنا الشائع أيضاً هو الذى لم يعد له وجود. كما أن المستقبل هو الذى لم يوجد بعد[2].

وهكذا تنتهى النظريات الرئيسية للزمن إلى أنه الكائن السيال المنقضى- دائماً: ماض لم يعد، ومستقبل لم يأت، وحاضر لا يكون أبداً، ينفلت من بين الأصابع دائماً. ومجرد الإمساك باللحظة الراهنة يعنى انفلاتها وإتيان اللحظة التالية لتنفلت هى كذلك

(1) H. Wildon carr: The proplem of Truth, Dodge publishing, Co, New York, 1913, P. v. preface

(2) يمنى طريف الخولى: الزمان فى الفلسفة والعلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص26.

فى توال لا يتوقف أبداً. أو لم نبدأ من اللحظة واللحظة "آن" و "الزمان " مكون من آنات يرفع كل منها الآخر، فهو تغاير مستمر، موجود بوصفه غير موجود، وغير موجود بوصفه موجود[1]. وعليها فقد صدق "جان بياجيه" J. Piaget حينما قال "إن الزمان مكان متحرك، والمكان زمان ثابت"[2].

ويشير سانتيانا إلى أن علاقة الصدق بالزمن time تبدو لأول وهلة علاقة بسيطة، وذلك إذا أقيمت على مصطلحات شائعة بين الناس، فإذا قمت بإحصاء شامل لجميع الأحداث التى تحدث فى الزمن فسوف تحصل فى هذه الحالة على الصدق، ولكن الإحصاء الكامل complete repoty كما يقول سانتيانا على الرغم من كونه فرضاً جدلياً يحاول البحث عن الحقيقة إلا أنه يظل دائماً مثلاً أعلى "أى يوتوبيا فلسفية" لن يظهر إلى النور، بل يظل مجرد أمنية لا تتحقق[3]. فالصدق الكلى الذى ننشده لا يمكن الحصول عليه أبدا، لأن ذلك سيستغرق وقتا طويلا من عمر الإنسان، بل ربما يأخذ وقتاً أطول من الأحداث ذاتها عند حدوثها، حيث إن وسائل الملاحظة والتعبير عنها وسائل محددة بجميع المقاييس، وعلاوة على ذلك يعد المسح الشامل لهذه الأحداث ضرباً من المستحيل، وبالتالى يمكن اعتبار الصدق الكلى لهذا الكون مستحيلا معرفته. ولذلك فإن المسح البشرى الهائل للتاريخ يجب أن يكون تاماً وكاملاً، فالأحداث المستقبلية المتوقعة

---

(1) المرجع السابق: ص27.

(2) المرجع السابق: ص19.

(3) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, P .485.

الحدوث يجب أن توضح وتبرز إلى النور، وعليها كان اكتشاف هذه الأحداث أو المسح الشامل لها لا يمكن أن يحدث بطريقة عرضية مفاجئة[1].

أن الصدق عندئذ كما يقول الفيلسوف محل الدراسة يبدو عبارة عن صورة من صور عالم الوجود فى كينونته الوجودية المجردة، ولذلك كان كل شيء فى بانوراما التاريخ مرتبطاً بالزمن، أما البانوراما ذاتها فهى بلا تاريخ محدد أى أنها دائمة التغير؛ لذلك كان نظام الأحداث ونسقها العام لا يمثل جزءًا من هذه الحقائق، ولا يمكن أن يحدث بعد أو قبل أى شيء آخر[2]. كما أن الصدق الذى نصف به الوجود يختلف فى خصائصه الأنطولوجية عن الوجود ذاته، فالحياة والحركة Motion قد انقضيا ، وأصبحت كل المقاييس عبارة عن حقيقة واحدة متساوية فى صدقها، كما أن كل العصور أصبحت حاضراً على حد سواء، كما أن القوة والعقل والفعل قد أصبحت أحداث تاريخية، وأصبح الصدق فى هذه الحالة يشبه القمر الجميل، ولكنه كائن ميت، لأنه حتماً سيؤول إلى الماضى[3]. أى أن الحاضر يؤول إلى الماضى بالضرورة، والماضى هو مقبرة التاريخ، فالزمان معطى مباشر للوعى، ولكنه معطى شديد التعقيد، وهذا ما دفع إرنست كاسيرر(*) فى كتابه "مقال فى الإنسان" إلى الإشارة إلى عدة مستويات لإدراك

---

(1) Ibid:P .485.
(2) Ibid: pp. 485.486.
(3) Ibid: P. 486.

(*) ولد الفيلسوف الألمانى إرنست كاسيرر Ernst Cassirer فى 28 يوليو سنة1874 بمدينة برسلاو Breslaw بألمانيا فى أسرة أحد التجار الألمان وقبل مولده فقدت الأسرة أحد أطفالها فكان لهذا الحادث وقعه الأليم عليها ومن هنا كان اهتمام الأسرة بمولد إرنست كاسيرر. وتمر الأيام ويصبح كاسيرر الطفل المدلل والابن المفضل بين أفراد أسرته ويستمر هذا التفضيل على الرغم ممن تعاقبوا بعده من الأبناء. كما يعد كاسيرر من أهم ممثلى النزعة الكانطية الجديدة فى العصر الحاضر، يجمع بين المنهج الصورى والنظرى والحس التاريخي الأصيل. هدف فلسفته– كما

الزمن، أدناها "الزمن العضوى" وهو الموجود لدى الكائنات الحية حتى لدى الأشكال الدنيا منها، وإذا اقتربنا من الحيوانات العليا سنجد شكلاً جديد يسميه كاسيرر " الزمن الحسى" وهو ذو طبيعة سيكولوجية معقدة، وفي النهاية نجد "الزمن الرمزى" الذى يدخل فيه مفهوم الزمن الفيزيائى العلمى الدقيق[1].

وعلي الجانب الآخر يعتبر سانتيانا أن الصدق الملىء بالأحداث أغنى من الوجود فى أى لحظة من لحظاته، لأنه لا يحتوى فقط على ماهية جميع اللحظات التى مرت بالأحداث بطريقة متساوية، ولكنه أيضاً يحتوى على أكثر مما تحصل عليه كل لحظة من اللحظات المنفصلة بعضها عن البعض الآخر، بل وحتى عن جميع اللحظات فى وجودها الداخلى Inner being[2]. فالصدق بهذا المعنى يمكن أن نسميه كما يقول سانتيانا – بـ " ذاكرة الكون "The Memory of the universe . ولكنه يعتبر أكثر من ذلك طالما أن مصير الكون يشتمل على الصدق فى داخله[3]. ولكن إذا كان التوقيت الزمنى للأحداث يمكن أن يكون معبرا عن العلم الصادق، فإن الذاكرة والخيال

يقول– هو التمييز بين الأشكال (التاريخية) الأساسية المختلفة لفهم العالم بدلا من الاكتفاء ببحث الفروض والمبادئ العامة للمعرفة العلمية بالعالم. أهم كتبه: "مشكلة المعرفة في الفلسفة والعلم في العصر الحديث" (فى ثلاث مجلدات1906-1920)، فلسفة الأشكال الرمزية (في ثلاثة أجزاء عن اللغة والتفكير الأسطورى والدين، وظاهريات المعرفة، صدرت بين سنتى1923 و 1929)، كذلك له كتاب بعنوان"الفرد والكون فى فلسفة عصر النهضة" (1927). ولقد نشر كاسيرر مؤلفات كانط وحققها.

انظر– محمد مجدى الجزيرى: الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م، ص11.

(1) يمنى طريف الخولى: الزمان فى الفلسفة والعلم، مرجع سابق، ص 32.

(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p. 486.

(3) Ibid: p. 486.

المسرحى يكونوا أعضاء لهذا الصدق، فالصدق يتغير عند لحظة معينة بنفس السرعة التى تتغير بها الحقائق التى يصفها[1].

والصدق لا ينفصل عن الماضى والمستقبل كما لا ينفصل عن الحاضر، وقد توصل سانيتانا إلى هذه الحقيقة كمصدر لتحديد الصدق بالنسبة لكل من الماضى والمستقبل ، فإذا كانت هناك حقيقة مرتبطة بالماضى مثلما نقول "كان من الصدق أن نقول أن يوليوس قيصر كان حياً قبل شهر مارس" ولكن بعد ذلك أصبحت هذه العبارة حقيقية حيث أن يوليوس قيصر قد مات، بل نستطيع أن نقولها بطرق أخرى مثل أن يوليوس قيصر كان على قيد الحياة، أو نقول أن الصدق هو أن يوليوس قيصر كان حياً، فإن استخدام العبارة الأولى لا يجعلنا ننفى العبارات التالية، فإذا كان يوليوس قيصر حياً فى وقت معين، فقد كان إذن حياً[2].

وهنا يشير سانتيانا إلى أن هناك كلمتان تعانيانا بشكل خاص من ذلك النظام الفرضى، وذلك عند تغير الصدق الذى نتحدث عنه، وهما كلمة "أنا" وكلمة "الآن" فأنا أستطيع أن أقول بصدق أننى الآن صغيراً فى العمر، فى الوقت الذى أقول فيه بصدق أننى الآن كبيرا فى العمر، لهذا فإن الصدق فيما يبدو لى قد يتغير، ولكن لم يكن أبدا صادقاً حيث أننى الآن صغيرا فى العمر، وإذا كانت كلمة الآن now تعنى سنة 1936 ولكن كلمة الآن منذ خمسين عاما تختلف عن كلمة الآن فى هذا الوقت الحاضر، ولهذا

(1) Ibid: pp. 488,489.
(2) Ibid: p. 489.

فإن الماهية التوكيدية ذاتها والحياة الوجودية تكون منقضية مثل كلمة الآن بالنسبة لهذا اليوم، فهى تختلف إذاً فى اللحظة الأبدية[1].

ولكننا يمكننا القول إن الفكرة الأساسية الموجودة داخل العقل، تتصل اتصالاً أساسياً بالواقع الزمكانى ككل. ويحتوى الماضى والحاضر على لحظات تظل طافية على سطح الأحداث، سواء كان الحاضر على السطح تماماً أم يختص بفترة زمنية أبعد قليلاً. وباختصار فإن الحوداث المستقبلية قد لا تكون حقيقية تماماً حتى تتحول إلى جزء من الواقع فيتم التحامه بواقع لحظى حى يأخذ صبغة الحاضر الذى نعيش فيه[2].

ونستنتج مما سبق. أن الصدق هو تلك الأحداث التى مضت، كما أن وقائع الحياة تشهد على صدقها، وما نسميه زمن الماضى أو زمن المستقبل إنما يكون ماضيا أو مستقبلاً ابتداء من هذه اللحظة التى انطلق فيها، فلا وجود لماض أو مستقبل مطلقين، كما أنه لا وجود لزمن مطلق إلا إذا كان فكرة ذهنية مثالية وليست واقعية. فالحقائق عبارة عن ماهيات، وهذه الماهيات عبارة عن ماهيات أبدية[3]. والصدق الذي يتحدث عنه سانتيانا هنا هو صدق متجاوز للزمن وأبعد منه، كما أنه صدق أبدي، حيث يتناقض مع صيرورة هذا الوجود المتقلب، فكل الأشياء تمر وتنقضى. وتموت من خلال الزمن، ولكن الصدق الناتج عن هذه الأشياء يظل باقياً فى كينونته الداخلية[4].

---

(1) Ibid: pp. 490,491.
(2) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.184.
(3) Ibid: p.176.
(4) Ibid: p.176.

الفصل السابع

نظرية سانتيانا فى الماهيات

الفصل السابع

نظرية سانتيانا فى الماهيات.

إن الماهيـة Essence هـى اللفـظ الـذى اسـتخدمه سـانتيانا للتعبـير عـن التصـورات والمعـانى، حيـث اعتمـد فى ذلـك عـلى نظريـة أرسـطوطاليس فى الماهيـة أو الجوهر، ولكنه أزال منها كل الأوصاف الأرسطية لكى يقدمها بهذه التأثيرات، فالماهية تعنى المفهوم الكلى وكذلك موضوع الفكر، ولكنها لا تشكل أى قوة مادية أو معنى مادى، حيث إن إدراك هذه الماهية ينتج عن تفاعل العقل مع كل من المادة والبيئة. ولذلك تبقى المادة أصل الوجود وما يتوسط الفعل والحدث، أما عالم الماهية فهو يشمل كل تفكير ممكن[1]. وذلك لكون المعرفة والاعتقاد ليسوا نتيجة رئيسية للتفكير، ولكنهما عبارة عن اعتقادات للماهية لا يمكن الهروب منها. وأيضا يكون ذلك لكون الماهية ضرورية للحدث، حيث إن علم المصطلحات الإبستمولوجية هاماً وضرورياً للمعرفة، وكذلك يكون الاتجاه نحو إدراك الاعتقاد يكمن فى الإيمان الحيوانى الذى يتم فرضه من خلال الظروف الطبيعية[2].

وفي مذهب المطلق المتعالى يقول سانتيانا عن الماهية " لو أن نقادى حين أنكروا الماهيات، قد أدركوا بعقولهم فى وضوح ماذا ينكرون، لسلموا قبل ما قلت. إن الماهية

---

(1) Stanford Encyclopedia of Philosophy, at. http://plato.stanford.edu/entries/santayana (02/06/2008).

(2) Ibid:, at. http://plato.stanford.edu/entries/santayana (02/06/2008).

هى أى شىء محدد، قادر على أن يظهر أو يكون موضوعاً للفكر، ووجود شىء له هذه الماهية مسألة خارجية، لا علاقة لها بالمنطق ولا بعلم الجمال. لهذا فإن سوء الفهم يزيد أضعافاً مضاعفة إذا قلت إنى أؤمن بالماهيات الأبدية. لأن القارئ (وربما الكاتب أيضاً) معرض لأن يفهم من الماهيات التى يدوم بقاؤها، وفى هذا قذف بنظريتى إلى السماء الأفلاطونية، حيث قوى الخيال والآلهة والنجوم التى تتحكم فى مقادير الناس والأمم، وهكذا حشدت فى زمرة أصحاب الخرافات البالية، بينما أنا عدو لخرافات الزمن الحاضر ذاتها"[1].

وقد ظن هنرى توماس (أحد تلامذه سانتيانا فى هارفارد) أن سانتيانا قد أطلق اسماً جديداً للتعبير عن مثل أفلاطون، فأطلق عليها اسم الماهيات، فالماهيات عند سانتيانا " كما يقول هنرى توماس – شأنها شأن المثل عند أفلاطون، ما هى إلا الصور الأصلية، أو النماذج الأزلية لكل الكائنات[2]. وكذلك ظن "جوزايا رويس"(أحد أساتذة سانيتانا فى هارفارد)أن سانتيانا قد فصل بين الماهية والوجود، وهذا ما لا يرتضيه فيلسوفنا – حيث يقول "إنى لا أفصل بين الاثنين بل أميز بينهما، فمن البديهى أن الشىء لا يمكن أن يكون له وجود ما لم يكن له طابع، وإنما توجد الأشياء التى لها طابع إلى حد ما، ومع ذلك فالوجود يتضمن التغيير أو خط التغيير: فالأشياء قد يصيبها التحول أو بعبارة أخرى قد تسقط عنها إحدى الماهيات وتحل محلها أخرى. وعندئذ يبدو أن

(1) جورج سانيتانا: مذهب المطلق المتعالى، مرجع سابق، ص92.

(2) هنرى توماس: أعلام الفلاسفة، مرجع سابق، ص388.

الماهيات المفقودة قد انفصلت فعلاً عن الوجود، كما تنفصل أوراق الشجر الميتة عن أغصانها"[1].

ولذلك لا يجب علينا أن ننظر إلى الماهيات عند سانتيانا على أنها تكّون بناء هرمياً تتوقف درجاته بعضها على البعض وليس يسودها " لوغوس" ، يسرى فيها جميعاً كما فى الصور الأفلاطونية وما شاكلها، ذلك أنه لا يوجد " عقل سرمدى" لا فى السماء ولا فى الأرض[2].

ولذلك يرى ريتشارد بتلر (أحد الباحثين فى فلسفة سانيتانا) – أن فكرة الماهية Notion of Essenceعند سانتيانا – يصدق عليها التعريف التالى: أن الماهية هى جوهر أى وجود، سواء كان وجوداً ممكناً أو وجوداً فعلياً، أنطولوجياً أو منطقيا، مادياً أو مثالياً، تصوريا أو واقعياً، بسيطاً أم معقداً[3].

وبالتالى تقوم فكرة الماهية عند سانتيانا – بدور هام، حيث يمكنها أن تخلص الفيلسوف من المشكلات المرهقة فى البحث الفلسفى، حتى وإن كانت هذه المشكلات إلى درجة كبيرة مدرسية أو اصطناعية. مثل المشكلة المتعلقة بالإحساسات والأفكار وكذلك الجزيئات particulars والكليات universals والمجرد Abstractوالمشخص أو العينى concrete، فليس هناك اختلاف فى الماهيات

(1) جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالى، مرجع سابق، ص91.

(2) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص581.

(3) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, p. 87.

المعطاة، فالماهيات متساوية، ولكل منها صفتها وخاصيتها التي تساعد على أن تكون ماهيات متكاملة تكاملاً مثالياً[1].

وعلي الرغم من أن عالم الماهيات هو عالم كامل فى وجوده الفعلى اللامتناهى، وعلى الرغم من كونه فى وجوده ذاك غير متأثر بتطور الأشياء، إلا أنه متصل اتصالاً وثيقاً بسبب أزليته نفسها، بهذه التغيرات الدائمة[2]. وكما يقوم مبدأ الماهية عند سانتيانا – على فكرة الهوية Identity أو الذاتية – حيث يتحدد وجود الماهية تحديداً كاملاً على أساس تعريفها، ولا نقصد بالتعريف هنا استخدام كلمات بعينها أو مصطلحات بذاتها، ولكننا نقصد بالتعريف، التعريف باستخدام الخاصية التى تميز الماهية عن أى ماهية أخرى. فكل ماهية هى ماهية فردية Individual تماماً، لذلك لا يوجد هناك سؤال فى عالم الماهية يتعلق بالتطبيق الخاطئ للهوية أو يتعلق بالغموض Vagueness أو التغير والتحول Shiftiness أو التناقض الذاتى self- contradiction-[3]. كما تتصف الماهية بأنها كلية universal [4]. وبذلك يوصف عالم الماهية بأنه المعيار العام للمقاييس والاستمرارية[5].

والماهية كما يقول سانتيانا بسبب كونها فكراً صرفاً، وبسبب عدم وجودها وجودا فعلياً، وبسبب أزليتها، تكون موصولة بالوجود الهادى من الداخل، لا بوصفها

---

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal faith, op. cit.p .90.

(2) جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالى، مرجع سابق، ص ص90،91.

(3) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, P. 18.

(4) Ibid: P. 18.

(5) Ibid: P. 19.

امتداداً لما هو موجود أو جزء منه، ويبدو أن هذا أمرًا غاية فى البساطة والوضوح، بحيث لا أكاد أعرف ماذا أقول لمن يجدونه قولاً غير مفهوم[1].

ويوضح سانتيانا فكرة الوجود الضمنى بقوله" إن ثمة سمة من الأسطورة الأفلاطونية تعلق بفكرة الماهيات حتى يقال عنها إنها موجودة وجوداً ضمنياً لا وجوداً فعلياً، والوجود الضمنى معناه الديمومة الكامنة والبقاء المطرد فى الزمن، لكن الأزلية وهى من السمات الذاتية لكل الماهيات، غير محدودة بزمن. لهذا فإن نفس الماهية قد تتكرر مرات كثيرة وحينما يحدث ذلك، أو حينما تتمثل لنا ماهية على نحو ما يفترض لقوانين الطبيعة أو الأخلاق فى عالمنا، فلنا أن نقول إن هذه الماهيات موجودة ضمناً لكننا لا نقول بذلك على أساس أبديتها التي يحدثها زمن، بل على أساس ثبات مزعوم في الأشياء يحفظ للماهيات وظيفتها في الوقت الحاضر، فقواعد لعبة الشطرنج مثلاً باقية ما بقى لاعبو الشطرنج على التزامها. فإذا هجرت لعبة الشطرنج وانصرف الناس عنها، فإن قواعدها تصبح مجرد "قواعد ممكنة " أو " ماهيات " وكل ما يبقى منها هو " صدق " القول بأنها كانت في يوم من الأيام قواعد مقررة يلتزم بها اللاعبون، ويمكن القول ببقاء الصدق الفعلى، لأنه حتى حين تحتجب الوقائع الخاصة به فى الماضى أو فى المستقبل، فإن هذه الوقائع تضفي على الماهيات التى تتمثل فيها اتصالاً أبدياً بالوجود، لأنه حتى بفرض تغير الوجود تغيراً جذرياً سريعاً، فإنه لا يستطيع أن ينفى ماضيه أو مستقبله[2].

---

(1) جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالى، مرجع سابق، ص91.

(2) المرجع السابق: ص ص 92، 93.

ويؤكد سانتيانا قوله السابق فيقول: " إن الوجود الضمنى شيء يتعلق بالمادة، وبنواحى المادة سواء منها الفلكية والإنسانية والاجتماعية، ولا يصدق على الماهية. وإذا وصفت أى ماهية بأنها موجودة ضمناً ومنحتها سلطة دائمة على الأحداث، كنت من أسرى المذاهب الفكرية "[1].

ومما سبق يكون هناك عالمين فى فلسفة سانتيانا عالم الماهيات وعالم للوقائع الفعلية، الأول فيه أفكار عما يمكن حدوثه، والثانى فيه ما قد حدث فعلاً[2].

إن الماهيات عبارة عن صور نقية وصافية أو نوعيات، وأن مثل تلك الماهيات تفصل بين الاندماج والهجوم والقوة التغييرية للوجود. فالماهيات تتواجد بشكل مباشر فى الإدراك وهى فقط الباقية والمستمرة فى الوجود، والماهيات هى الأشياء الوحيدة التى يمكن اكتشافها بين صيرورة الأشياء الزمنية. إنها فقط عبارة عن صورة أو ماهية الأشياء وليست عبارة عن جواهر الأشياء المادية التى يمكن بالفعل أن تدخل إلى عقولنا أو تأتى إلى خبراتنا فى لحظات التخيل التى نعيشها أو حتى فى أحلامنا[3].

أن الماهيات عبارة فقط عن الصور أو ماهيات الأشياء التى نمتلكها، ولكن عندما كان الوجود ناء ومتغير ويبعد عن إدراكنا ونظرتنا له، فإن الماهيات وصور

---

(1) المرجع السابق: ص 93.

(2) د/ زكي نجيب محمود: نافذة على فلسفة العصر، كتاب العربى، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكويت، العدد السابع والعشرون، 15 أبريل 1990، ص 100.

(3) Guy W. Stroh: American philosophy from Edwards to Deweys, op.cit, p.202.

الأشياء يتم الكشف عنها فى عقولنا وذواتنا المفكرة. وقد تكون الماهيات حسية مثل اللون الأزرق، أو تكون ماهيات مجردة مثل العدد عشرة، أو تكون شعورية مثل وصف المانخوليا، أو ربما تمتلك أى درجة من التعقيد مثل الفكرة السرمدية "اللانهائية". فالماهية عبارة النظام الكونى أو الصورة العامة التى دائما لا تقبل التغيير، على الرغم من أن أى وجود فى أجزاءه وخصائصه دائما يكون فى موضوعه قابلية للتغيير[1].

ويمكن إيجاز موقف سانتيانا عن الماهية في عدة نقاط:-

1- أن جميع الماهيات فردية ومكتفية بذاتها [2] . أى أنها تقوم بنفسها وتستمد وجودها من داخلها.

2- ليس لعالم الماهية قواعد أو تضمينات ، كما أنها لا تحتوى على استثناءات معينة أو منطق معين [3].

3- المنطق هو الممر الذى تمر عليه اللغة المألوفة فى ميدان الماهيات للموضوعات التى لها صلة بها [4].

4- ليس هناك ماهية عامة ، فالعمومية هى وظائف المصطلحات أو الحدود فى العلاقات الخارجية [5].

---

(1) Ibid: pp.202.203.
(2) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, P. 78.
(3) Ibid: P. 81.
(4) Ibid: P. 90.
(5) Ibid: P. 91.

5- تقوم الماهيات بإحداث التغيرات والتعددات الممكنة لكى تصبح صيرورة الوجود صيرورة تامة .

6- تعمل الماهيات الخاصة بالحدس كرموز للموضوعات الذاتية والموضوعات المعرفية .

7- للماهيات قيمة أخلاقية أو جمالية باعتبارها موضوعات الفكر [1].

8- يوصف عالم الماهية بأنه عالم الممكنات، وذلك لكونه يمثل فكرة عقلية من الممكن أن تحدث غيرها فى عالم الممكنات المتعددة.

(1) Richard Butler: the mind of Santyana.op.cit, p. 173.

ـ الخاتمة ـ

فى ثنايا الصفحات السابقة، قمت بعرضٍ عام للملامح الرئيسية للفكر الفلسفى عند جورج سانتيانا ، وعلى الأخص فلسفة سانتيانا المادية، والتى اتصفت بالفلسفة الطبيعية حتى عُدّ سانتيانا رائدا للاتجاه الطبيعى فى الفلسفة المعاصرة .

وقد ظهرت فى هذه النزعة الكيفية التى تأثر بها سانتيانا بفلاسفة اليونان القدامى ، وكذلك الحضارة الهندية القديمة وبخاصة إلى تعاليم جوتامابوذا . ولكن هل ينبغى علينا قبول هذه النزعة المادية التى ذهب إليها سانتيانا ؟ وهل ينبغى علينا التسليم بتلك النزعة الطبيعية المادية فى جوهرها التى نادى بها فيلسوفنا ضد الفلسفات المثالية والتجريبية الإنجليزية ؟

إنه من العجيب أن يتجه شاعر روحى، ومفكر عميق، مثل سانتيانا إلى ربط عنقه فى طاحون فلسفة مادية عجزت بعد جهود قرون عدة عن تفسير نمو شجرة أو ازدهار زهرة أو ابتسامة طفل . ولكن – إذا لم يكن للإدراك تأثير على الجسم فى حركته ، فلماذا تطور ونما ولماذا بقى فى عالم لا بقاء فيه لأشياء عديمة النفع والتأثير[1].

(1) ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوى، مرجع سابق، ص ص606: 607.

إذا كانت هذه رؤية "ول ديورانت" لفكر سانتيانا الفلسفى، فإن هناك جون ج. ستوهر[1]. يرى أن سانتيانا فى صدد إحاطته بالمادة، لايملك سوى التسليم بغير كلام – إزاء لانهائيتها غير المعروفة، ثم يصفها بأنها غير محددة، وأنها جزء لا شكل له يحيط بالجوهر، كما أن جوهر المادة لا يعتبر مادة بذاته، فهو شيء لا مادى ولا زمنى، لأن المادة شيء غير مدرك بطبيعته.

وإذا كانت المادة – كما يرى سانتيانا لا شكل لها، ولا خاصية، وأنها لذلك لا يمكن إدراكها أو معرفتها، فإن تحقيق خواص عالم المادة، أو العالم الطبيعى وتحديدها يصبح لا معنى له، كما كيف يتسنى لنا أن نشخص شيئاً لا يمكننا معرفته أو تحديد خواصه[2].

وهكذا يقوم مذهب سانتيانا المادى على أسس متعارضة، تزعم لنفسها الاتساق حيث يقول: إن عالم تجاربنا المادى إن هو إلا صورة ذهنية أو لمحه عابرة ، لعالم أرواحنا الذى هو عالم ماهيات، كما أننا لنلمح هذا العالم الحقيقى – عالم الماهيات– فى لحظات نشوتنا، وفى مثل تلك اللحظات نتحقق من أن العالم وحدة حياة متماسكة تتحرك فى

(1) جون ج. ستوهر: مذهب الطبيعة.. غير الطبيعى عند سانتيانا، بحث منشور فى كتاب – تاريخ الفلسفة فى أمريكا خلال 200 عام ، ترجمة/ حسنى نصار ، مراجعة/ مراد وهبه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983، ص292 .

(2) المرجع السابق: نفس الصفحة.

تناسق متجهة نحو الله[1] . وبذلك يتضح مدى ما وقع فيه سانتيانا من الخلط وسوء الفهم خلال مناقشاته بين المادة كمعنى، وبين نسيجها (أو ماهيتها) الذى تتكون منه[2].

ويمكن القول أن النزعة الطبيعية عند سانتيانا ليست معصومة من الخطأ، أو بعيدة عن النقد ، فقد هيأ سانتيانا لنفسه الانتقاد، حيث اعترف بأنه إذا لم تكن هناك قاعدة طبيعية فإنه لا يمكن أن تكون هناك معرفة إنسانية مطلقًا، وحتى إن كانت تلك النزعة الطبيعية أو ما وراء الطبيعة قد أُدِينت بأنها لا تملك هذه القاعدة التطبيقية فى عالم الحقيقة.

كما أن سانتيانا قد أكد أن الإيمان بالطبيعة يعيد إلينا تلك القدرة على فهم ذلك الإحساس الدائم الذى غالى نحو الحياة الحيوانية، ويصبح فيها العالم عبارة عن بيت وأصبح فيها أنا فيلسوف[3].

من خلال ما سبق نستطيع أن نرى مدى الخلط واللبس والغموض الذى أحاط فلسفة سانتيانا فى إطارها العام، وذلك حين عرض لفلسفته المادية الطبيعية والتى يعد إمامها فى الفلسفة المعاصرة، ولكن حتى يكون بحثًا منهجيًا موضوعيًا إلى حد ما، أقولُ أن سانتيانا عند عرضه لمذهبه الفلسفى خلال كتبه صرح فى بداية كتابه "النزعة الشكية

---

(1) هنرى توماس : أعلام الفلاسفة – كيف نفهمهم ، مرجع سابق ، ص ص 390 ، 391.

(2) Joseph L. Blau: Men and Movements in American Philosophy, Prentice – Hall, Inc, New York, 1955, P.330.

(3) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op. cit, P 238.

والإيمان الحيوانى" Scepticism and Animal Faith – "أننا سنجد نظامًا آخر للفلسفة، فإن وجد القارئ فى نفسه رغبة فى الابتسام فسابتسم معه فأنا لا أحاول أن أقدم للقارئ إلا المبادئ التى يتجه إليها عندما يبتسم[1]. ويقول أيضاً "أنا لا أطلب من أحد أن يفكر بما أفكر فيه، إذا كان يفضل تفكير الآخرين ، والأفضل إذا استطاع أن ينظف نوافذ روحه، لينشر جمال المنظر وتنوع صوره، وإشراق ضوئه أمامه"[2].

ومن خلال تلك الرؤية السانتيانية يتبلور مذهب سانتيانا الفلسفى، حيث اعترف بنفسه أنه يقدم نظامًا آخر للفلسفة ، كما أنه لم يجبر أحدًا على الأخذ به والتسليم بصحة فلسفته.

ومما لا شك فيه أنه لا توجد فلسفة من الفلسفات قديمة أو حديثة أو حتى معاصرة تخلو من النقد. فالنقد سمة أساسية قام عليها الفكر الفلسفى طوال عصور التاريخ المختلفة، ولذلك كان لابد للباحث أن يعرض لأوجه الغموض التى اكتنفت نظرية سانتيانا عن الصدق.

تعتبر نظرية الصدق من أهم النظريات الابستمولوجية في نظرية المعرفة فهى ليست نظرية ميتافيزيقية أو أنطولوجية، ولكنها منذ القدم كانت جزءً لا يتجزأ عن نظرية المعرفة، وحتى وإن كان لها أثر عظيم فى نظريات المناطقة المعاصرين، فيما عرف باسم

(1) G. Santayana: Scepticism and Animal Faith, op. cit, P.V .

(2) ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوى، مرجع سابق، ص603.

الصدق المنطقي، وكذلك كان لنظرية الصدق عمقاً كلياً داخل فلسفة العلم، وفلسفة اللغة، ثم أخيرا فى فلسفة العقل، وهذا ما جعلها تتميز عن مفهوم الحقيقة Truth الذى يختص به مبحث الوجود والميتافيزيقا، ولكن سانتيانا قلب هذه النظرية رأساً على عقب، حيث جعل نظرية الصدق إحدى المهام الرئيسية فى عوالم الوجود الأنطولوجية، وبذلك طبق عليها مذهبه الواقعى النقدى، حتى جاء الصدق عنده باسم النظرية الواقعية فى الصدق، وبذلك أصبحت ضمن مبحث الوجود وليس المعرفة، ومن ضمن الأخطاء التى وقع فيها سانتيانا أنه لم يهتم اهتماماً كلياً أو حتى جزئياً بفلسفة المنطق، وإن كان سانتيانا قد أشار إلى الأهمية الكبرى التى يقوم بها المنطق فى مجال الفكر الإنساني، وإن كان حديثه عن الصدق المنطقي متضمناً الصدق، فإن الصدق كان فى هذه الحالة هو الصدق الطبيعى أو الواقعى.

أما المنطق عند سانتيانا فقد كان هو منطق هيجل وليس هذا هو المنطق المتعارف عليه عند رسل ووايتهد وفريجه وبيانو وغيرهم، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن سانتيانا – كان فيلسوفا للقيم الجمالية والأخلاقية من الطراز الأول، اهتم بالتناسق والانسجام بين الأشياء أكثر من اهتمامه بالمنطق والميتافيزيقا.

أما نظرية سانتيانا عن الماهية، فقد رأى بعضهم أن سانتيانا قد ارتبط فيها بنظرية المثل الأفلاطونية، وبالتالي تكون نظرية الماهية عند سانتيانا، هى ونظرية المثل سواء

بسواء، وبالتالى تبعد الماهية عن الوجود. أما سانتيانا فإنه يرفض ذلك، ويجعل الماهية قائمة على التحديد، والتحديد لابد أن يكون فى الأمور الواقعية.

وفى نهاية الأمر – إن أى نقدٍ أو تعارض لا يقلل من قيمة الفكرة، بل يدعمها ويقويها، ويكفى هنا أن قدم لنا سانتيانا عالماً خاصاً- أطلق عليه عالم الصدق، وعالم آخر عرف بعالم الماهية.

ملحق

أعمال سانتيانا

(1) شيء مختلف تماماً (1884).

Quite Another things.

(2) قصائد أسبانية (1886) .

Spanish Epigrams.

(3) السوناتا (1886) "هى قصيدة قصيرة تتألف من 14 بيتاً "

Sonata.

(4) نسق لوتزة الفلسفي (1889)"موضوع سانتيانا لنيل درجة الدكتوراه فى الفلسفة"

Lotze's System of Philosophy .

(5) الموقف الحالى للكنيسة الكاثوليكية الرومانية (1892).

The Present Position of The Roman Catholic Church .

(6) عند الظهيرة (1892) .

At Noon

(7) سوناتات وأشعار أخرى (1894) .

Sonnets and other Verses.

(8) الإحساس بالجمال – تخطيط لنظرية فى علم الجمال (1896) .

The Sense of Beauty: Being the Outlines of Aesthetic Theory.

(9) الشيطان : مأساة لاهوتية (1899).

Lucifer: A Theological Tragedy.

(10) تفسيرات في الشعر والدين (1900) .

Interpretation of Poetry and Religion.

(11) أغنية لكارمل وقصائد أخرى (1901) .

A Hermit of Carmel and Other poems.

(12) ماهية علم الجمال "الأستطيقا"؟ (1904).

What is Aesthetics ?

(13) حياة العقل أو "أطوار التقدم الإنساني"(*) (1905) .

The life of Reason, or the Phases of Human Progress.

وينقسم إلى:

أ- العقل فى الحس المشترك (1905) .

Vol. I: Reason in Common Sense.

ب- العقل فى المجتمع (1905) .

Vol . II : Reason in Society .

ج- العقل فى الدين (1905) .

Vol . III : Reason in Religion .

د- العقل فى الفن (1905) .

Vol . IV: Reason in Art.

هـ- العقل فى العلم (1906) .

Vol . V : Reason in Science

(14) – ثلاثة فلاسفة شعراء (1910) "لوكريتيوس، دانتى، جوته"

Three Philosophical poets "Lucretius, Dante, and Goethe"

(15)- النسق فى المحاضرات (1910) .

System in Lectures .

(16)- مقدمة لكتاب "اسبينوزا فى الأخلاق" (1910) .

Introduction in Spinoza Ethics.

(17) – التقاليد القديمة فى الفلسفة الأمريكية (1911).

The Genteel Tradition in American philosophy.

(18) – نوافذ المذهب (1913) .

Winds of Doctrine.

(*)- حياة العقل أو أطوار التقدم الإنساني ، قام سانتيانا بتأليفها فى خمسة أجزاء فيما بين (1905 – 1906) ، وهى تمثل فى فكر سانتيانا فلسفة التاريخ بشكل تام. انظر- عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص582 .

(19) – بعض المعانى لكلمة يكون (1915) .

Some Meaning of The Word is.

(20) – الأثرة فى الفلسفة الألمانية (1916) .

Egotism in German philosophy.

(21) – الرؤية الفلسفية فى أمريكا (1918) .

Philosophical Opinion in America.

(22) – المعرفة الرمزية والمعرفة الحرفية (1918) "كتاب مشترك مع علم النفس".

Literal and Symbolic Knowledge.

(23) – ثلاثة براهين فى الواقعية (1920) .

Three Proofs of Realism.

(24) – شخصيات وآراء فى الولايات المتحدة (1920) .

Character and opinion in the United States.

(25) – مناجيات فى انجلترا والمناجيات الأخيرة (1922) .

Soliloquies in England and Later Soliloquies.

(26) – النزعة الشكية والإيمان الحيوانى (1923) .

Scepticism and Animal Faith.

(27) – قصائد مختارة: للمؤلف والمراجع (1923) .

Poems; Selected by Author and Revised.

(28) – ما لا سبيل إلى معرفته "المجهول" (1923) .

The Unknowable.

(29) – النزعة الطبيعية الميتافيزيقية عند جون ديوى (1925).

Dewey's Naturalistic Metaphysics.

(30) – محاورات فى ليمبو (1926).

Dialogues in Limbo.

(31) – عوالم الوجود (فى أربعة أجزاء) (1927-1940) .

Realms of Being.

أ – عالم الماهية (1927) .

Vol . l: The Realm of Essence .

ب – عالم المادة (1930) .

Vol . ll: The Realm of Matter .

ج – عالم الصدق (1938) .

Vol . lll: The Realm of Truth .

د – عالم الروح (1940) .

Vol . lV: The Realm of Spirit .

(32) – الأفلاطونية والحياة الروحية (1927) .

Platonism and the Spiritual Life.

(33)– خلاصة آرائى فى الفلسفة الأمريكية المعاصرة (1930) .

A Bripf history of my opinions in contemporary.

(34) – التقاليد القديمة فى الخليج (1931) .

The Genteel Tradition at Bay.

(35)– بعض التحولات فى الفلسفة الحديثة (1933) .

Some Turns of Thought in Modern Philosophy.

(36) – الدين النهائى (1934) .

Ultimate Religion.

(37) – البيوريتانى الأخير (1936) " مذكرات فى شكل رواية ".

The Last Puritan : A Memoir in The Form of A Novel .

(38) – كتابات متناثرة (1936) " محاضرات ومقالات ومراجعات".

Obiter Scripta; Lectures, Essays and Reviews.

(39) – اعتراف عام (1940).

General Confession.

(40) – دفاع عن نفسى (1940) [*].

Apologia Pro Mente sua.

(41) – عوالم الوجود (1942) "فى مجلد واحد"

Realms of Being (one Volume Edition)

(42) – أشخاص وأماكن (1943) "الجزء الأول" السيرة الذاتية.

Persons and places: The Background of My Life.

(43) – الفترة الوسطى (1945) " الجزء الثانى" أشخاص وأماكن.

The Middle Span: Vol. ll, Persons and Places.

(44) – العالم جمهورى (1953) "الجزء الثالث" من أشخاص وأماكن.

My Host The world: Vol lll, persons and places.

(45) – فكرة يسوع (السيد المسيح) فى الأناجيل (1946) أو "الله فى الإنسان"

The Idea of Christ in the Gospels.

(46)– بعض تطورات النزعة المادية(1949).

Some Developments of materialism. "Essays"

(47) – الأخلاقية والدين (1950)

Morality and Religion "essays".

(48) – فى الشعر والنقد (1950)

Poetry and criticism "essays"

(49) – السيطرة والقوة (1951).

Dominations and Powers.

(50) – حياة العقل (1954) – "نصوص مختصرة أعدها سانتيانا بمساعدة دانيال كورى قبل وفاة ساند تيانا ، ثم نشرها كورى بعد وفاته".

---

[*] عنوان هذا المقال باللغة الإيطالية، أما ما بين دفتى المقال فقد كتبه سانتيانا باللغة الإنجليزية.

The life of Reason (shortened version prepared by Santayana and Daniel Cory).

(51) – الإيمان الحيوانى والحياة الروحية (1967).

Animal Faith and Spiritual Life.

(52) – مولد الفكر وبحوث فلسفية أخرى[*] (1969) .

The Birth of Reason and other essays.

(53) – النظام الطبيعى والحرية الأخلاقية (1969) .

Physical order and Moral Liberty.

(*)– هناك ترجمة عربية لهذا الكتاب، قام بترجمتها لجنة من الأساتذة الجامعيين، ضمن منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، وهى التى اعتمد عليها الباحث فى دراسته.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصـــادر

أ – كتابات ومقالات سانتيانا – المترجمة إلى العربية.

1- جورج سانتيانا : مولد الفكر وبحوث فلسفية أخرى، ترجمة/ لجنة من الأساتذة الجامعيين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت .

2- جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالي، مقال منشور في كتاب "فلسفة القرن العشرين" إعداد/ راجوبرت د. رونز، ترجمة/ عثمان نويه، مراجعة د/ زكي نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م .

ب – كتابات ومقالات سانتيانا – باللغة الإنجليزية.

3- ـــ: persons and places, the Background of My Life, Charles Scribner's sons, New York, 1944.

4- ـــ: Realms of Being, one volume Edition, With A New Introduction By the Author, Charles Scribner's sons, New York, 1942.

5- ـــ: Reason in common sense, vol I, in: the Life of Reason, Archibal constable, London, 1905.

6- ـــ: Scepticism and Animal faith, Dover Publications, Inc, New York, 1925.

7- Santayana, George: Apologia pro Mente sua, in: the philosophy of George Santayana, Edited by Paul Arthur schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951.

8- ـــ: Dewey's Naturalistic Metaphysics, in: the Philosophy of John Dewey, edited by, p. A. Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951.

9- ـــ: General Confession, in: the philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951.

10- ـــ: Three Proofs of Realism, in: Essays in Critical Realism, Edited by, Critical Realism philosophers, Macmillan and Co, limited, London, 1920.

ج- كتابات عن سانتيانا- باللغة الإنجليزية.

11- Butler (Richard): The Mind of Santayana, Routledge and kegan paul, London, 1965.

12- Skowronski (krzystaf piotr): Santayana and America, Values, Liberties, Responsibility, Cambridge Scholars publishing, uk, 2007.

13- Sprigge (Timothy L.S.): Santayana, an Examination of his Philosophy, Routledge kegan Paul, London and Boston, 1974.

ثانيًا: المراجع العامة.

أ- المراجع العربية :

14- الخولي (د/ يمنى طريف) : الزمان فى الفلسفة والعلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

15- ـــ : مراجعتها لكتاب وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، ترجمة/ عادل مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م.

16- الديدي (د/ عبد الفتاح) : الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م .

17- راجح (د/ أحمد عزت) : أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1999م.

18- رشوان (د/محمد مهران) : أسس التفكير المنطقي، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006م .

19- ـــ : فلسفة برتراند رسل، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979م .

20- ـــ : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م .

21- رشوان (د/ محمد مهران، د/ محمد مدين) : مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م .

22- زكريا (د/ فؤاد) : آفاق الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1991م.

23- زيدان (د/ محمود فهمى) : فى فلسفة اللغة، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2003م.

24- صليبا (د/ جميل) : المنطق، مؤسسة عويدات، بيروت، د. ت .

25- الضـوى (د/ محمـد توفيـق) : نظريـة الصـدق عنـد برادلـي، منشـأة المعـارف، الإسكندرية، 2003م .

26- الطويـل (د/ توفيـق) : أسس الفلسفة، مكتبـة النهضـة المصـرية، الطبعـة الأولـى، القاهرة، 1952م.

27- عثمـان (د/ صـلاح محمود) : المنطـق متعدد القيم بين درجات الصـدق وحدود المعرفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002م .

28- كامـل (د/ فؤاد) : أعـلام الفكر الفلسفي المعاصـر، دار الجيـل، الطبعـة الأولـى، بيروت، 1993م .

29- محمـد (د/ علـي عبـدالمعطي) : دراسـات فـي الفلسـفة العامـة ومشـكلاتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م .

30- نفادي (د/ علي عبد المعطـي، د/ السيد) : المنطق وفلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م .

31- محمـود (د/ زكـي نجيـب) : تصـديره لكتـاب جـورج سـانتيانا : الإحسـاس بالجمـال تخطـيط لنظريـة فـي علـم الجمـال، ترجمـة/ محمـد مصـطفى بـدوى، مراجعة وتصدير د/ زكـي نجيب محمود، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ت .

32- ـــ : حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، الطبعة الثانية بيروت، 1982م .

33- ـــ : فلسفة وفن، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1963م .

34- ـــ : من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، 1979م.

35- النشـار (د/ مصـطفى) : مـدخل جديـد إلـى الفلسـفة، دار قبـاء للطباعـة والنشـر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م .

36- هويدي (د/ يحيى) : مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة، القاهرة، 2001م .

ب – المراجع الأجنبية المترجمة إلي العربية.

37- إيرل (وليم جيمس) : مدخل إلى الفلسفة، ترجمة/ عادل مصطفى، مراجعة د/ يمنى طريف الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م .

38- آير (ألفريد جولس) : الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة ودراسة د/ بهاء درويش، مراجعة د/إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2006م .

39- توماس (هنري) : أعلام الفلاسفة – كيف نفهمهم، ترجمة/ متري أمين، مراجعة وتقديم د/زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964م .

40- توماس (هنري ودانالي) : المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة/ عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1970م .

41- جروسمان (موريس) : دراسة واقعية حول فلسفة الشك في عالم سانتيانا، بحث منشور في كتاب– تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200عام، إعداد/ بيتر كاز، ترجمة/ حسني نصار، مراجعة د/ مراد وهبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م .

42- ديورانت (ول) : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة/ فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، الطبعة السادسة، بيروت، 1988م.

43- سبيريدج (ت. ل. س) : الصورة المميزة في الفلسفة الأمريكية، بحث منشور في كتاب – تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200عام، إعداد/ بيتر كاز، ترجمة/ حسني نصار، مراجعة د/ مراد وهبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1983م .

44- ستوهر (جون ج0) : مذهب الطبيعة .. غير الطبيعي عند سانتيانا، بحث منشور في كتاب- تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال200 عام ، إعداد/ بيتر كاز، ترجمة/ حسني نصار، مراجعة د/ مراد وهبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م .

45- سيزاري (بول) : القيمة، ترجمة د/ عادل العوا، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، 1983م .

46- شنيدر (هربرت) : تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة/ محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م .

47- موي (بول) : المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة د/ فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د. ت .

48- ميد (هنتر) : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها – ترجمة / فؤاد ذكريا – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الطبعة الثانية – القاهرة 1975م .

49- هيبسون، أوكونر : مقدمة في المنطق الرمزي، ترجمة د/ عبد الفتاح الديدي دار المعارف، القاهرة، 1978م .

50- وولف : فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة د/ أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936م .

جـ - المراجع الأجنبية.

51 - Blau, Joseph L.: Men and Movements in American Philosophy, Prentice – Hall, Inc, New York, 1955.

52 – Brownell, Baker: Santayana, The Man and The Philosopher, in: the philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951.

53 - Carr, H. wildon: The problem of truth, Dodge publishing, co, New York, 1913.

54 - Dennes, William Ray: Santayana's Materialism, in: The philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951.

55 - Durant, will: Outlines of philosophy, Ernest Benn, Ltd, London, 1962.

56 - fisch, Max H.: Classic American philosophers, Appleton century crofts, New York, 1951.

57 - Hartshorne, Charles: Santayana's Doctrine of Essence, in: The philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor publishing company, New York, 1951.

58 - Russell, Bertrand: Philosophy of Santayana, in: The philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951.

59 - Stroch, Guy W.: American philosophy from Edwards to Dewey, An introduction, van Nostrand Reinhold company, New York, 1968.

60 - Sullivan, Celestin J.: Santayana's Philosophical Inheritance, in: The philosophy of George Santayana, Edited

by, Paul Arthur Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951.

61 - Terzian, Shohing: writing of George Santayana, in: The philosophy of George Santayana, Edited by, Paul Arthur Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951.

ثالثًا : الدوريـات.

62- أبو سريع (د/ أسامة سعد) : الصداقة من منظور علم النفس، سلسلة عـالم المعرفـة، المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، العدد179نوفمبر، 1993م .

63- بوشنسكي (إ. م.) : الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة د/ عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 165 سبتمبر، 1992م .

64- كلارك (جي. جي) : التنوير الآتي من الشرق، ترجمة/ شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 346، 2007م.

65- محمود (د/ زكي نجيب) : نافذة على فلسفة العصر، كتاب العربي، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكويت، العدد السابع والعشرون، 15أبريل 1990م.

رابعًا : الرسائل العلمية.

56- الشامي (محمد محمد حسين) : الحقيقة في فكر وليم جيمس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب فرع بنها، جامعة الزقازيق، 2002 م .

خامسًا : دوائـر المعارف.

57- Concise Routledge: Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and New York, 2000

58- Olafson (Frederick A.): Santayana, George, in: the Ency clopedia of philosophy, Edited by, Paul Edwards, vol Vll, Macmillan Reference, New York, 1996.

59- Prior (A. N): Correspondence Theory of Truth, in: the Encyclopedia of Philosophy, vol II, Edited by, Paul Edwards, Macmillan Reference, New York, 1996.

60- Stanford Encyclopedia of Philosophy, at, http://plato.stanford.edu/entries/santayana

61- White (Alan. R.): coherence theory of truth, in: the Encyclopedia of Philosophy, vol I, Edited by, Paul Edwards, Macmillan Refernce, New York, 1996.

سادسًا : المعاجم والموسوعات.

62 – بدوي (د/ عبد الرحمن) : موسوعة الفلسفة، جزءان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م .

63– صليبا (د/ جميل) : المعجم الفلسفي، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1971م .

64– صليبا (د/ جميل) : المعجم الفلسفي، المجلد الثاني، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1973م .

65– طرابيشي (د/ جورج) : معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م .

66– عبد الله (د/ محمد فتحي) : معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 2009.

67- المعجم الفلسفي: الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د/ إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م .

سابعًا : كتابات في مواقع الإنترنت.

68- John Magnus Michelsen: The Place of Buddhism in Santayana's Moral Philosophy, at, *http://ccbs.ntu.edu.tw/FULLTEXT/JR-ADM/magnus.htm*

المحتويات

إهداء
المقدمة
الفصل الأول: واقعية سانتيانا الطبيعية.

- حياة سانتيانا.
- جذور فلسفة سانتيانا.
- واقعية سانتيانا الطبيعية.

الفصل الثاني: نظريات الصدق بين الفلسفة والمنطق.

التباين بين الصدق والحقيقة.

نظرية التطابق.

نظرية الاتساق.

النظرية الدلالية.

النظرية البراجماتية.

نظرية إمكانية التحقق.

نظرية الإضافة غير الضرورية.

الفصل الثالث: سانتيانا والنظرية الواقعية فى الصدق.

الفصل الرابع: الصدق المنطقى.

الفصل الخامس: الصدق السيكولوجى.

الفصل السادس: الصدق والزمن.

الفصل السابع: نظرية سانتيانا فى الماهيات.

- **الخاتمة.**

- ملحق أعمال سانتيانا
- مصادر ومراجع البحث